وحدة النسق في السورة القرآنية
فوايدها وطرق دراستها

رشيد الحمداوي

من مواليد الدار البيضاء بالمغرب عام 1367 هـ الموافق 1949 م.
* نال الإجازة من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة القاضي عياض
  بمراكش، كما نال دبلوم الدراسات العليا المعمقة (الماجستير) من دار
  الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا في "مؤلفات التفسير
  والحديث بالغرب الإسلامي".
* له عدة بحوث منها: "المتشابه اللفظي في القرآن ومساواة توجيهه عند
  ابن الزبير الغرناطي من إصدار مكتبة أولاد الشيخ بمصر سنة 1320 هـ.
  و"قواعد الترجم في التفسير عند ابن جزي الأندلسي".
المبحث

ينتناول هذا البحث خصوصية من خصائص السور القرآنيّة وهي وحدة النسق، وتعني بما مثّل السورة القرآنية واتساق معانيها المتتالية التي تضمنها ضمن غرض محرري واحد دون تنافر أو تفكك.

والدلائل على تميز سورة القرآن هذه السمة متوافرة بشكل يجلبها وجهًا من أوجه الإعجاز. وقد وفق العلماء المقدمون في استجواب هذا السمة ودراستها في علمين من علوم القرآن: الأول علم المناسبات الذي يعني بوجه الارتباط بين الآي والسورة، والثاني علم مقدّمات السورة الذي أُدبِّع برهان الدين الباقعي، وبفضلته تتبّع بعض المفسرين - لا سيما من المعتاصرين - إلى أن لكل سورة غرضاً محرريّاً تدور عليه جميع آياتها، فجعلها بياضها في تفسيرها.

ومن خلال تتبع بعض التفاسير القرآنيّة تبينت بضعة فوائد للاشارة وحدة نسق السورة في تفسير أجزائها، منها تيسير التفسير، وتسديد فهم بعض ما أشكل على المفسرين، وترجيح ما اختلفوا فيه، واستجواب أسرار تكرار الفصوص واتخاذ الآيات المتتالية اللائقة. بالإضافة إلى الوقوف على الأصح من المناسبات بين الآي واستكشاف بعض الحكم التربوي والإطارات المعنية المكنونة فيها. وهذه الفوائد تبناى عن أهمية دراسة نسق السورة القرآنيّة وجعله مركزاً في التفسير السديد لكتاب الله المجيد. وقد خلصت إلى بيان طريق استجواب غرض المحرري للسورة، وحذفها في أربعة مسائل وهي: تدرّف فواعج السورة وخصائصها، وتقسيمها إلى مقاطع حسب مضمونها، ومعرفة زمن نزولها، والاستنبات بأنها المتأورة. ولا ريب أن الافتراض إلى نسق السورة القرآنيّة واستحضارها في التفسير سيطر دراسات قرآنيّة جدّيرة بالأخير بيد المسلم نحو فهم مراد الله تعالى وملازمة هداياته في كلامه.
القناة

القرآن الكريم هو كتاب الله الحكيم، وآياته الظاهرة ومعجزته الخالدة على مر العصور، وقد نزله الله تعالى على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم - على خلاف الكتب السماوية السابقة - مُجمعةً حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم، كلهما نزلت عليه آيات أمر أصحابه بكتابتهم في مواضيع يعدها حسبما أوقفه عليه جبريل عليه السلام دون مراعاة لترتيب السور، وقد تألف مما جمع على هذا النحو سُوّى مؤلفة المباني متسقة المعاني، لذا كثاد تنسى بأي دخل في بنائها أو تنافر بين أجزاءها، وهذه السور وقع التحدي، واصبحت المعجزة كما في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ تَمَتَّعْ بِمَا نَزَّلَنَّهُ عَلَيْكَ}.

وقد اهتم العلماء منذ وقت مبكر بدراسة أسرار نظم أي القرآن الكريم تحت مسمى الإعجاز بالنظم تارة، ويعونان علم المناسبات تارة أخرى، إلا أن تفسير القرآن ظل يتجه عن بيان وحدة نسق السورة والمحام موضوعاً وناتساً لأجزاءها بحيث تترامى في جملتها إلى غرض واحد، وقيمت المناسبات بين الآيات والسور لوناً من ألوان النكت التفسيرية التي تظهر بعض أسرار ترتيب القرآن المعجز دون أن ترقى إلى جمل السورة بيئة متماسكة لها مقصود واحد. ومع أن بعض المفسرين تنبهوا إلى أن لكل سورة غرضًا مرجعيًا يدور عليه جميع آياتها فإن أكثرهم لم يستصحوا هذا الملاحظ في تفسير أجزاءها وبيان ارتبطوان معانيها.

وقد تزايد الاهتمام بالتناسق الموضوعي في القرآن تدريجًا لعلم التفسير، وتحديدًا لطريقة التعامل مع القرآن الكريم وتغذير آياته وسورة.

وقد اختارت أن استعمل للدلالة على هذه الخصائص القرآنية مصطلح وحدة
النقوص(1)، وأعجبي بالتحاج موضوعات السورة القرآنية وتماثل بنائها واتساق معانيها السديدة مفصّدة واحد. وأعجبي بالنسق(1) بناء السورة الذي يُقسم بالنسق بين أجزاءه، والترابط المعنوي بين آياته. وقد يعبر عنه بعض الباحثين بسياق السورة العام، إلا أن كلمة "النسق" - في رأيي - أدل على التكامل والتوليد من الناحيتين المعنوية والبيانية، وأصلل لأجزاء السورة، خلاف السياق الذي يراد به سياق الآية ولواحقها. كما أن وحدة النسق أدل على إحكام بناء السورة من التناسق الموضوعي الذي يدل على تناسب مواضيعها فحسب.

وقد عبر كثير من الكاتبين عن هذا المفهوم بالوحدة الموضوعية(2)، ولكن آثرت التعبير ووحدة النسق دفعة لما قد يُروّج من أن إضافة الوحدة الموضوعية إلى السورة يضيف بأن لها موضوعًا واحدًا(3)، فلحيائط أن معظم السور القرآنية متعددة المواضيع، ولكنها مع تعددها متحدة في هدف عام تتجه إليه، متجمعة في نسبي واحد دون تناور أو تفكك، وما يعبر عنه بعض الكاتبين بأنه موضوع السورة إذا هو هدوء المشوري الذي تدور عليه جمع موضوعها، وهو ما سأتناوله في هذا البحث، بيانًا للجهود العلماء من المتقدمين والمعاصرين فيه، وإيضاحًا لطريقة استخلاصها وفوائد ملاحظتها في التفسير.

(1) فقد سيفني إلى هذا المصطلح د أحمد أبو زيد في كتابه "الناسب البيان في القرآن " منتشرات كلية الآداب بالرباط 1992 م.
(2) هذه الكلمة وردت في نص لأبي إسحاق الشافعي حيث يقول عن سورة المؤمنون: "ألا أنه غلب على نسقي ذكر الكلم ليكون الموضوعات (رج 3/312) في كتاب محمد عبد الله دراز في كتابه البّّيأ العظيم (152).
(3) وهذه النسبي سائرة اعتباره يكون المقصود بها هي وحدة موضوعات السورة، ولكن احترس استعمال "وحدة النسق"، ولا مشاحة في الاستعمال.
(4) ومن يوجي كلامه هذا المعن الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة المياني في مثل قوله "حول وحدة موضوع السورة القرآنية" (قواعد التقدير الأصل 42) وفي تعبيره نسامج وله فج وإن معظم السور متعددة الموضوعات.
البحث الأول

دلائل وحدة النسق القرآني

من خصائص القرآن الكريم أنه لم يُفرد كل سورة من سوره لموضوع معين في الغالب (1)، بل كان يجمع في السورة الواحدة مواضيع متنوعة وأغراضًا مختلفة من عقائد وأحكام ومواد وقصص وأمثال وجدول وحكم وينتقل بينها من غير فصل. وهو بذلك مباني لمناهج التأليف البشرية التي تعتمد التنويب والترتيب، وهذا ما جعل المغرضين من المستشرقين كدوزي وبلاشير وغيرهم يطعنون في القرآن وبرون أن آياته لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق! بل في سرده للموضوعات عشوائية واضطراب، وزعموا أن ذلك يعزى إلى البدائلية والبسيطية في طريقة التأليف مما يدل على أنه فكر بشري لا وحي إلهي! (2)

ومن ثم أوصوا بإعادة الحياة لمصحف - في زعمهم - وذلك بترتيب القرآن وسورة وفق السياق التاريخي المعقول بناءً على أسباب النسول، تيسيرًا للقارئ الغربي ومساعدة له على فهم القرآن، وسار على ذلك بعض مترجمي المصحف؛ وفي ذلك يقول بلاشير (3) معلقًا على اقتراح:

(1) واحترزت بقونو "الغالب" لاستثناء قصص السور فإن أكثرها يتناول موضوعًا واحدًا.
(2) انظر آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان (2/579) دار طبعة، ط 1، 1993.
(3) مستشرق فرنسي: من أشهر كتب "تاريخ الأدب العربي"، و"دراسة حول القرآن"، وله مقالات عديدة في أشهر مجلات الاستشراق. تراجع ترجمته في مجلة الرحيلى الإسلامية ع 2088 – دارลอحة 1408 هـ – ص 15 وراجع "المستشرقون" لأساطين هجوب العلمي (1/313) ط دار المعارف.
ولدك 1) بإعادة ترتيب السورة: " ويتواصل القارئ الغربي إذ ذاك مشكلاً لا تكلف فيه الابتعاد بأن الحياة قد أعطت للمصحف، فوا عاد يظهر على شكل متتابع مصطنع وغير منتظم للنصوص، بل على شكل سلسلة من الموضوعات، عالجها محمد خالد عشرين سنة وفقًا لمقتضيات دعوته " 2) .

والحقيقة أن التالي لأي سورة من متطلعها إلى خطابها لا يشعر بشان أو اضطراب، ولا يرى انقطاعاً أو انفصاماً، بل خلص من معنى إلى آخر خلصه طبيعياً لا عسر فيه ولا اقتسار، ونتصوري هذه الخصائص في مناجم المعاني والآغراض في سور القرآن على عدة حكم كما سيأتي، من أظهرها أنه يكوون سبباً لطرد سؤال القرآن والسماع وتجديد نشاطه، مما يجعل الإنسان لا يمل من ترداد القرآن الكريم وسماه.

وعند إمعاناً للنظر في كتب الله المجيد نجد الدلالات متضافرة على أن آيات القرآن وكمية محكمة البيان متناسقة الأركان؛ ومن هذه الدلالات:

1- إن القرآن ليس كلام أحد من البشر، وإنما هو كلام الحكم العلمي سببه، وهو كلام من له الكمال المطلق، فله الأسماء الحسية والصفات العلمي، ومن ثم لا يمكن أن ترى ثغرة في بنائه أو انفجارًا في أجزائه أو تفككًا في معانيه، فكما حكمته تعالى وسعته علمه سببه، ي تحقيق إيقاع المباني والمعدائي

1) مستشرق ألماني: حصل على الدكتوراه في علوم القرآن وكان عنوان رسالة " أصل وتركيب سور القرآن " وقد أعاد النظر فيها وتوثيق مراحلها ونشرها بعنوان " تاريخ النص القرآني " وله مؤلفات أخرى، تراجع ترجحته كاملاً في " المستشرقون " 2/ 379- 382.

2) " القرآن : نزوله ، وتدوينه وترجمته وتأثره " لسبيلشري - الفصل الأول (ص 32- 44) ط دار الكتاب اللبناني / بيروت ط 1974 م.
وحدة السينق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

على أبدع نظام، وقد وصف تعالى كتابه بالإحكام فقال: مكَّنَِّكَ قُرْآنًا حَكِيمًا (الله: 1)، وقال تعالى مبينًا على كمال علمه وحكمته: وَمَّلِكَ الْقُرُونَ مِنْ لَدِينِ حَكِيمٍ كبيرٍ (النّاز: 2).

وكتيرًا ما يستفتح السور القرآنية بوصف القرآن بالإحكام والتنويه بعلو مصدره وعظمة المتكلم به سبحانه تببها للقارئ على عظم قدر ما يتلقاه وسهو مضمونه، وطردًا لكل الوساوس التي قحس في نفس السامع من جهة تعدد موضوعاته وتشعب معانيه أو غرابة أحكامه. ومن تأمل مطالع معظمن سور القرآن التي تسم بالطول نسبًّا وجد هذا الأمر مطردًا على نحو يجعلنا يغمز وجود مقصود عظيم وراء ذلك، وكلما كانت السورة جمالًا فسيحكا لتعدد موضوعها كلما كان التأكيد على عظمة القرآن أشد، والتنويه على إحكامه وإعجازه أقوى.

ولنظر على سبيل المثال سورة الفقرة، فإنها أطول سورة القرآن وأكثرها تشبعًا في مضمونها، ولذلك افتتحت بنفي الريب الذي قد يتردد في الصدور من القرآن، فقال تعالى مشرًا إلى علو قدره: لَمْ يَطْبَعْهُ الْجَحِيمُ وَلَمْ يَثْلُبْهُ الْعَذَابُ السِّيِّمُ (النّاز: 2) كما افتتح سورة الأعراف - وهي من أسر أعظم الطوال - بمثل سبحانه: {كَفَّارَةُ أَوْلِيَاءِكَ الَّذِينَ يُنْفِكُونَ الْحَبَلَ مَعَهُمْ فَالْحَبَلُ يُبَيِّنُ لَهُمُ الْغَيْبَ (الأعراف: 2)}

وفي مطلع آل عمران بين الله إنزال القرآن بالحق وموافقتته للكتب السابقة - لتوجه السورة بالخطاب في شطر منها إلى أهل الكتاب - فقال سبحانه: ﴿بَلْ نُعِينَكَ الْكِتَابَ بَالْحَقِّ مَصَدِّقًا لِّمَا بِنَيَّتَهُ بَيْنَ يَدَيْنِ وَأَرْزُلْ الْقُرُونَ وَإِلَيْهِ تُرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران: 3).
ووجد سورة أخرى افتتحت بالمتبوع على حكمة الكتاب: "النَّازِلُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ [يونس: 2، والفسا: 2]، أو وصف القرآن بالحكمة كقوله
tعَمَّـلَهُ: "لا يَجِيبُ اللَّهُ عَلَى سَرْوَاتِكُم" [نُزَيْلُ الغَيْبِ
الرَّحِيمِ [س: 5)].

وهي سور أخرى يقرن تعالى إنزال القرآن بصفاته العليّة: "نَزِيلُ
النَّازِلُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ [الزمر: 1 والاحزاب: 2 والغافر: 2، والبقر: 2]. وهي سور أخرى يقرن إنزال القرآن بنفي الريب والوعود
وانعماه بالحق والاستقامة: "نَزِيلُ الصَّدْرِ الَّذِي لا رَبِّ بَعْدِهِ مِنْ رِبَاءِ اللَّهِ" [المؤمن: 2]. وهمَّهُ بِذِي الْكُتْبِ وَلَدَّى أَوْلَـيْهِنَّ أَنْ يَكُوا نَزِيلًا إِنَّهُ مِنْ رَيْكَ الْحَقِّ لَكَنْ لَيْكَ أَنْ تَرُكْ [السماع: 2].


فِنْ نَزِيلُ نَزِيلٍ مِنْ لَّهُمْ، وَسَيُبِينُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمْرَ مِنْ أَخْبَاهُمْ لَمْ يُمْرِحْهَا [الكعف: 1].

وكما وصف آيات القرآن بالإحكام وصف السورة بذلك فقال
 تعالى: "وَنُحْلِلَ مَا نُزِّلَ مِنْهُ وَلَا تُكْتَسِبَ مِنْهُ سَوْرَةً، فَإِذَا أَمَرْتُ سَوْرَةً تَعْلَى حَكَمَةً وَبَيْنَ يَدَيْهَا أَلْبَـثَا، أَنْ يَكُونَ تَلَيْوَاتُكُمْ مِنْ أَخْبَاهُمْ [أحمد: 2].

وَلَوْ شَأَّ اللَّهُ تَعَالَ أَنْزَلَ النَّازِلَةَ الْكَرِيمَةَ، هُدَى جُلْعُهُ سَوْرًا غَيْرَ مَثِيلُهُ، وَلَعَلَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جُلْعُهُ سَوْرًا غَيْرَ مَثِيلُهُ، مِنْهَا الطُّوِيفُ وَالقُصْرِ وَالثُّوِّبِ وَالجَمِيعِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ طُوِيفُ الآيَاتِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ قُصيرٌ لِالفَوْاَصِلِ، وَمِنْهَا مَا يُرِكَّزُ عَلَى مِسَالِكِ الإِيمَانِ، وَمِنْهَا مَا يُرِكَّزُ عَلَى الْأَحْكَامِ: كَلْ ذَلِكَ وَقَدْ بَلَغَ حَكْمَتَهُ تَعَالَ.

١٤٣٩
وحدة الاسم في السورة القرآنية: فوازدها وطرق دراستها

2- تسمية المجموعة من الآيات القرآنية بالسورة، فقد قال تعالى في مطلع
سورة النور: «سُورَةُ أَرْضَهَا وَقَبْسَهَا وَأَرْضَاً مَّيِّتَةً» [النور:1] وهكذا
الأسم يحمل في طواعته معنى الإحاطة بتوحيد الأجزاء المتعددة، فصار مادة
"س ور" تدور على هذا المعنى كالسورة الذي يحيط بها بيانية المدينة ويجمع
بيوفها، والسوار الذي يحيط بالمعصم... في السور وحدة واستقلال، وفي
السوار زينة وجمال؛ والعلماء يُعرفون السورة القرآنية بأنها "طائفة مستقلة من
آيات القرآن ذات مطلع ومقطع "(1)، ومن ثم فالسورة تحيط بطائفة من
الآيات ذات المعاني المتنوعة وتجمعها برباط وثيق. ومطلع السورة وحدها
بمسحلة الحدود التي تحف بأيديها فتجعل لها صيغة الاستقلال والتميز عن غيرها
من السور الأخرى، وما تضمه السورة بين تضاعيفها من مواضيع مرصوص
متكاملاً ككتاب لآيات البينة الواحد، متساوي في الجودة والحسن كالسوار
الذي لا يدري ابن طرفه، فنكتسي من اجتماعها على ذلك النحو رونقًا
وجمالًا.

وتقسم القرآن إلى سورة مختلفة أحد مظاهر تيسير القرآن للذكر كما
في قوله تعالى: "وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهَا الْقُرْآنَ لِيَذْكِرَ فَهَلْ مَنْ يَذْكِرُ" [النور:17]. فالسورة
الواحدة من القرآن كافية للتذكير لمن أراد أن يتذكّر، لتنوع موضوعاتها وتحدث
الجوانب التي تتناولها، ومن ثم فما من مسلم أقبل على كتاب الله إلا ونان
حظه منه تلاوة وحفظًا، على قدر ما يسبقه وقته واستعداده وذكائه، وأخذ
نصبه من تذكر المعاني الرئيسة مهما كانت منزلته في المعطى والفهم.

(1) مناهج الورفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني (1/250).
3- وقوف التحدي بالسورة الواحدة من سور القرآن، فقد قال تعالى: "وإن
كَتَبْنِي فِي رَبِّنَا نَزْلاً عَلَى عِيْبَانَا يَصُرَّوْنَ مِن مُّصِلِّبٍ. وَأُذِينَـُّوا شُهُدَ آَمَّةً مِن دُونِ اللَّهِنَّ كُتْبَ صِرِيقَـْينَ [النافع: 26]"، وقال تعالى: "أَمْ يَقْفُونَ أُفُقًا مُّفَرُّدًا فَنَّادُوا يَصُرُّوْنَ يَصُرُّوْنَ. (بِني: 83)", وهذه التحدي دليل على
أن بناء السورة وتأليف أيها على هذا النحو العجيب أمر معجز للأولين
والآخرين، ولا يمكن أن يصح الإعجاز بالسورة القرآنية إلا إذا كانت متأازرة
المعاني متسقة المباني موحدة في ترتيبها وبنائها مع تنوع مضمونها. وقد دعا
الله الخلق إلى تدرّب القرآن والتأمل فيه، وعلى رأسهم العرب الذين كانوا
فرسان البلاغة وأرباب البيان، ومع علمهم بعبوب الكلام وقوادع بلاغته
شعراً وثراً فإنه لم يشيروا القرآن بأنه ضعيف التراث أو مهلهل النسج أو
متناور الأجزاء، كما يقول المستشرقون الذين يتفقون إلى الذوق البلاغي.

ونظم السور القرآنية نظام متميز، فالكتب التي يؤلفها البشر تفتَّض إلى
أبواب وفصول وبحث في موضوع الموضوع التي تتناوله، وكل مبحث
يتناول واحدة منها دون أن يخلطها بها، أما السورة القرآنية فتجمع في كثير
من الأحيان مواضيع متعددة، وهي على اختلافها متألفة في نسيجها، وهنا
يكسن الإعجاز. ثم إننا لو عمدا إلى القرآن وجعلنا طاقة من الأيات متحدة
الموضوع من سور مختلفة وجعلناها سورة واحدة لوجدناها متناورة الأسلوب
مضطربة الترکيب، ولو أخذنا من سورة معينة آيات ذات موضوع واحد
كالآيات التي تتحدث عن قصة خلق آدم في سورة البقرة مثلاً [من الآية: 30 إلى
الآية: 38] وجعلناها سورة قصيرة لوجدنا أن القصة قد خفتت إشعة إعجازها
وإن كانت آيات سور القرآن الكريم توقيفاً من النبي صلى الله عليه وسلم

4- ترتيب آيات سور القرآن الكريم توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم مأخوذ من الوحي. فقد نزل القرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم تكن نزول آيات السورة مجتمعة في آن واحد، ولا متواضعاً في أوقات متقاربة، وإنما كانت نزول متفرق حسب الدواعي والأحداث، ويكفي لمثل ذلك أن سورة العلق نزل مطلعها آها إلى قوله تعالى: "وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَا لَيْكُمُ الْأَمْرُ (2) في بدء الوحي، ونزل شطرها الأخير في وقت لاحق بعد نزول آيات من سورة المدثر وتابع نزول الوحي عليه.(1)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اكتمل إزالة السورة دعا كتبة الوحي ليكتبها على وفق ترتيبها الذي أخبره به جبريل، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لـ "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذات العدد، فكان إذا أنزل عليه شيء بما به من يكتب له فيقول: "ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"، وإذا أثرت عليه الآيات قال: "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا"

---

(1) انظر سبب نزول مطلع سورة المدثر في نبأ التقول همذ تفسير الخالاني (805) وسبب نزول الآيات الأخيرة من سورة العلق (828).
ولا تأملًا نسورة البقرة وقد نزلت ترتيبًا في ما يقارب عشر سنوات؟
(1) مسند الإمام أحمد (101 رغم 1 / 611). الترمذي (كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة رقم 3187 و WS لحمص الحاكمة (2 / 720).
(2) النفين في علوم القرآن لبردان النوراني (1/37)، والإتقان في علوم القرآن للمبسوطي (2 / 108).
وحدة الاسم في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

رشيد الخماوري

لوجدناها مع ذلك معجزة ظاهرة، مناسقة الألوان، متوافقة الأشكال، تأخذ أباب الناظرين بجمالها وروحها، وتوجي للمتوضعين بإشاراتهما ودلالاتها. ومن مجاز الأعجاز التي نلحبها فيها أن اختلاف أسباب نزول آياتها وتباعد أوقات تنزيلها كان أدى إلى تفكك أجزائها وتداعي بنائها، ومع ذلك تبدها مثصلة الشائج، متيجة النسج، متشابعة المراقبة، متحدة المقاصص، متالفة البدايات والنهائيات: "وَلَوْ كَانَ لَنِعْمَةِ اللَّهِ مَعُ نَتْرِيتَانِ فَعَلَى أَحْيَاً".

5- كراهة السلف للتنتقل بين السور دون إكمال واحدة منها، والخلط في التلاوة بين آيات من سورة متعددة، وعلل أساس ذلك هو ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم "أنه مر ليلة بأبي بكر وعمر ولال رضي الله عنهما وكَلٌ منهم يقرأ القرآن، فلما أصبح قال ليلال: هم لرَٰبِثَ وَأَتْتَتْ نَقْرًا مِن هَذِه السورة ومن هذه السورة! فقال: أخلط الطلب بالطلب فقال: أقرأ السورة على وجهها - أو تأوه! (1).

فقد نهى بلال رضي الله عنه - حسب هذه الرواية - في تلاوته للقرآن منحي خاصًا، إذ كان ينتحب من كل سورة آيات الرجاء والرضا وما يتضمن وصف الجنة والهميم (2) وما أشتهى ذلك ويبذله إلى نظامته في سورة أخرى، فأمره النبي أن يقرأ السورة على وجه الذي أنزلت عليه بتنوع موضوعها وتعهد أغراضها وتشبع معانيها، تحققًا للمقاصد الإلهي من

(1) مصنف عبد الزورق (2 / 78) ومصنين ابن أبي شيبة (6 / 151 رقم 3609)، وفضائل القرآن لأبي عبد (1 / 236 رقم 278)، ومنسن البهيجي الكبرى (1 / 11). (2) هذا شرح أبو عبد القاسم بن سلام أثرب بلال كما نقله عنه الزركشي في البرهان (1 / 553).
التسوّيّر، وفي رواية أخرى أن النبي قال له: "إذا قرأ السورة فأنفذهَا" (1)

أي أكملها، وهذا الأمر النبوي يحمل في ثنياه نكتة لطيفة، وهي أن السورة وحيدة متماسكة متكاملة لا يغنى ببعضها عن سائرها، ومن ثمّ لا يحصل الانتفاع بها واستخراج بركاتها و弘اياً إلا باستيفائها تلاوة وتدبرًا، فأياها حلقات متراكبة أحد بعضها بأعناق بعض، ولو ظهرت بادي الرأي مختلفّة المفاصد متنائية الأغراض.

ولعل من أبرز حكّم الامتناع بين تلك المعاني المختلفة، أن كتب الله تعالى شفاء لصدور الخلق، ولتناسب الشفاء مع مكونات النفس البشرية المتداخلة واحتياجاتها المتعددة، لا بد أن يوضع ميزان دقيق ليتمكن من تبجيل مسارب النفس ومعالجة دخائلها المختلفة، ومن ثمّ كان من اللازم أن يقرر الترغيب بالترهيب، والبشارة بالإذانار، ويشفع ذكر الدنيا بعد الآخرة، ويؤكد ما يقرره بالدلائل التي تشهد عليه، ويجده للأخلاق التشريعية بأنّه لياحم النفس على الالتزام بها، بحيث يبادر النفس بما تحتاج إليه عند تلقته للوجي، ويجب العقول عما تبحث عنه، ويعزى العواطف ويجعل الأرواح بما تقرّ إليها; كل ذلك بشكل متوازن، متباين، شأنه شأن الدواء الذي يركبه الصيدلي لعلاج مرض معين (2)، فيوضعه بنسب مضبوطة بدقة، متحقيق الشفاء الناجم دون الأضرار أو المخاطر، فإذا تغير مقدار واحد من المواد التي تركب منها، أو زالت مادّة من تلك.

(1) فضائل القرآن لأبي عبيد (١٢٦٠ / ٢٩٩).
(2) نقل الزركشي عن أبي عبد قوله: "فأمره أن يقرأ السورة على تروحاً كما جاهمت مجموعة كمّا أنزل الله تعالى: فإنه أعلم بدواء العبد وحاجته، لأنا صلى الله عليه وسلم، تخلعه عن الصدمة، ولكنّه مزجها تصل القلوب بنظام الإمام "البرخان" (٥٥٣ / ١).
وحدة السبب في السيرة القرآنية: فوازدها وطرق دراستها

رشيد الحماوي

المواضن بالحملة، لم يؤد ذلك الدواء مفعوله، بل قد يسبح قاتلاً، ولكن القرآن يتميز بكونه شفاءً عالياً، إلا أن الانفعال بآثاره المباركة استثناءً واستهداءً لا يكون إلا بأخذه على الوجه الذي أبلغ الله سبحانه عليه، ويدر ما يجري المرض ببعض دون بعض ينقص حظه من مباح القرآن وبيته، ويُبَدِّر مال تعالج معه على هيئة المترورة ينال خبراته وبركاته، ولا يفت أن سير شفاء القرآن هو في ترتيبه على ذلك النحو المعجز، ومثله في ذلك كمَّل العمل؛ فإن الله تعالى شهد له بكونه شفاءً للناس، وعله ذلك أن النحل تأكل من نباتات مختلفة وأزهر متنوعة، وفي الآية التي يخبر الله فيها عن وحية للنحل قال سبحانه:

{ ١٠٦ ِ كُلُّ مَّن كَانَ بَعْضًا مَّثَلًا ٥٩ ١١١ ١٠٠ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠

ولكن كلام الله تعالى يعلو على غيره، ويتزَتِّب بأنه كله شفاء وهدى ورحمة ونور، فما من سورة إلا وهي في نفسها شفاء لصلة من علل النفس، وهدياً إلى سبيل من سبيل الخير، ورحمة للإنسان من الوقوع في مهَّوَة مسجَّمة الضلال، ونور يريح عنه ظلمة من الظلمات.

فالقرآن يروم من قارئه أن يبال من قراءة كل سورة من سوره نصييًّا واقراً من الهدايا التي يشدها فيها، ويخرج من تفهيره لأسلوبها ومعانيها وواصلها ومعابشة قصصها وصورها وحواواتها برسالة السورة التي تحلها إليه.

وقد تأملت في سنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فوجدته غالبًا يتولى في صلاته سورة كاملة، ولا يقطعها أو يكتفي بأجزاء منها إلا
ال.Join(1), وكأن تقزيب السلف للقرآن ينتهي عند آخر السور، ولا يتوقف عند
أواسطها أو أواخرها.

ولعلّ حكمة ذلك هو أن السورة - كآلّة الواحدة - ينبغي للواء
على حياضها ليستسيقي من معينها بالملكية الأوقات أن يتم تلاوتها إذا أراد أن
يستمتعنا هذاما كله، لا أن يتوقف عند جزء منها؛ لأنه بذلك يكون قد قطع
أوصالها؛ فإذا استأنف قراءة بعد ذلك لم يتمثل الرسالة القرآنية الكليّة في
السورة، وإنما أخذ بعض معانيها فحسب.

 وما ورد في السنة من استحباب تلاوحة آيات مخصصة في مواضع
معينة - كآلّة الكربسي وحوادث القراءة وتغويها - فإنّها توخى كذلك مجزأة من
السورة التي وردت فيها كوصفًا تتم معين مستقلًا يناسب المقام الذي تقول
 فيه من أجل الذكر أو التحصين أو سؤال الله تعالى والاستعانة به.

وبذلك يكون القرآن قد نفع من بئره - بسورة وأبعاضها - على
اختلاف درجاتهم؛ إذ منهم الأمي الذي لا يعرف القراءة، والشيخ السدي الذي
يتعلّم شبة كثيرًا من القرآن في شبابه، والقارئ الذي يكتفي بقراءة حروفه،
والمتأمل الذي يقتني من تلاوته للقرآن مقاصده وغاياته.

6 - الجمع بين الآيات المكية والمدنية في السورة الواحدة: فمن المعلوم أن
القرآن منه ما نزل قب الهجرة النبوية، ومنه ما نزل بعدها، فأول بطلقه عليه
المكي من القرآن تغلبيًا، والثاني بطلقه المدني لكون معظمه نزل بالمدينة،
وكلّ من المكية والمدنية خصائص موضوعية وأسلوبية تميزه عن نسيمه.

(1) وقد أكد هذه الم供暖ة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صفة صلاة النبي (103).
ووحدة النسق في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

ولكن الأمر المُعجب في بناء السور القرآنية، أنك تُفلّي كثيرًا منها قد
امتِرِجت فيه آيات مدنية بِآخرة مكية في مباين واحد، وتُلخِّد مع ذلك في مباني
الانتهاء والانسجام، بحيث تُحَسِّس أن السورة كلها نزلت في مكان واحد، فكآ
تَدْرِي أَنَّها مكية أو مدنية إلا من كتب التفسير، التي تسمى السورة - مثلاً-
بكُلِّها مكية بناء على الغالب منها ونستنتج بعض آياتها فتذكِّر أنَّها مدنية
النُزُول، أو المكس، وكثيرًا ما نورد اختلافًا في كُلِّها من هذا القسم أو ذاك.

وهذا النِّباد المُحَكِّم يدلنا على أن المقصود من ترتيب آي السورة مُباين
للملخص من ترتيب النزول، فزمان النزول إما كان على مقتضى سنة
الدرج في تسلسل شرائح الإسلام ومراعاة حال المحاطين في ترتيبهم على
مبادئها وتكاليفها، أما حكمة وضع الآيات المدنية في سورة مكية أو وضع آيات
مكية في سورة مدنية فهي أن هذه الآيات دون غيرها هي التي تخدم مقصود
السورة وتنتمي مع المعنى الذي تدور عليه سائر آياتها.

ومن أمثلة السور المكية التي استفخِّحت بأيات مدنية سورة العنكبوت،
ففي قول : (فَلَوْلَا يُكَابِرُ عِبَاسُ وَقَتَادَةُ وَغَيرُهُمَا أَنَا مَكِيكَةُ إِلَّا عَشْرُ آيَاتٍ مِنَ أُولُها).

ومن أمثلة السور المكية التي جاء في أثناءها آيات مدنية سورة الأعرام:
فقد قال ابن عباس وقائدة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلنا بالمدينة، وهم قوله
تَعَالَى: (وَمَا ذَكَرْنَا لِأَنَا مَعْرُوفَةً) [الأية: 91]، وقوله: (وَهُوَ الَّذِي أَنْبَا جَنَّتَيْنَ)
تَعَالَى: (وَمَا مَعْرُوفَةٌ غَيْرَ مَعْرُوفِيَّةِ) [الأية: 141].(1)

(1) تَفَرْسِيرُ الْفِرْعَيْنِ (١٣٠ / ٣٤٣).
(2) زاد المضي (٣ / ٣٣) طَارِ دَارِ الْفُقْرَةِ، دَتِ. ١٥٢
ومن أمثلة السور المدنية التي احتتمت بآيات مدنية النزول سورة النحل فعندما قال عطاء بن يسار مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قيل حزمة رضي الله عنه وغَثْنِي بهٍ، وكبَلْ سورة الشعراء، فإنما على قول ابن عباس وقُدْمَةً مكية إلا أربعة آيات منها نزلت بالمدينة من قَوْلُهُ: اِنَّ النَّزُولَ مَعَ الْقُرْآنِ ۛ ۚ وَالْعَفَوانَ (الآية: ٢٢٤) إلى آخرها.

ومن أمثلة السور المدنية التي تخللتها آيات مكية سورة الرعد فهي مدنية إلا آتين نزلنا بحِيْكَةُ؛ وهما قوله عز وجل: ۛ وَلَوْ أَنّكُمْ سَمِيتُ بِدِينِ ٱللَّهِ (الرعد: ٣٠) إلى آخرها.

ومثال سورة مدنية جاءت في ختامها آيات مكية النزول سورة المطافين، فهي على قول ابن عباس وقُدْمَةً مكية إلا ثمان آيات من قوله: إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجَرَوْا كَافُوًا مِنَ ٱلَّذِينَ أَمَرَوْا بِٱلسَّيَّةِ (الآية: ٢٩) إلى آخرها.

وهذه الأمثلة شواهد بيئة على كمال تألف الآيات وتكامل مضامينها، واتصال عُراها.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٤) وانظر أقوال أخرى في زاد السمير (٤/٣١١).
(٢) تفسير القرطبي (١٣/٨٧).
(٣) المصدر السابق (٩/٢٧٨).
(٤) تفسير القرطبي (١٩/٢٥٠).
البحث الثاني

عناية المفسرين بعلم المناسبات

لقد استرى هذا النمط في عرض مضمون السورة اهتمام العلماء قديمًا وحديثًا، فنشأ علم عني ببيان أوجه التعلق والربط بين الآيات التي ظاهرها الانفصال والاستقلال، وهو ما جمعي بعلم المناسبات. وقد ظهرت بوادر العناية بالتناسب بين الآيات عند فريقين من المفسرين:

- مفسرون غلب عليهم البحث عن الأسرار البينانية في نظام القرآن الشاهدة بإعجازه.

- مفسرون غلب عليهم الاتجاه الصوفي، فهم ينتمون لطائف القرآن وبدائع إشاراته.

ومن أقدم من اهتم بذلك أبو بكر النيسابوري (١) (١٣٩٨م) الذي أظهر المناسبات في دروسه التفسيرية في بغداد، فكان يقول: لم جعلت هذه الآية جنب هذه الحكمة في حقل هذه السورة إلى جانب هذه السورة (٢).

ثم انتقل إلى طور التأليف حيث يحذفنا أبو بكر بن العربي (١٣٥٤م) عن هذا العلم وتتأليفه فيه يقول: "ارتباط أي القرآن بعضها بعض حتى تكون كلكلمة الواحدة متصلة المعاني متصلة المباني علم عملي، لم يعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلم لما نجد له حملة، وزارنا الحلقة بأوصاف البطلة حتمنا عليه، وجعلناها بيننا وبين الله وردنداه.

(١) هو أبو بكر محمد بن عبدوس بن أحمد النيسابوري المفسر الراوي، إمام فاضل عالماً معناً من القرآن، كان شيخ العلم في الشريعة والأدب. طبقات المفسرين الدواوين (٢ / ١٩١).
(٢) اليوهان في علوم القرآن لابن الدين الزركشي (٣٦ / ٢٦).

١٥٤
والظاهرة من كلامه أنه لم يجد من طالب العلم في زمانه إقبالاً على هذا
الفن، فلم يمل تصنيفه على طالبه كعادته في باقي تصنيفاته، ولم يعطه للنساخ
ليشروه، وإنما أخفاه كما أشار إليه في كتاب "الناخ والسرو" حيث قال:
«الآحاد فيها (أي سورة الأندام) قليل لعارض بيننا وجهته في "ترتيب آي
القرآن", وهو كتاب أخفاهه بعد أن جعلنا لما رأينا فيه من علوه على أقسام
أهل الزمان، وأنه ليس له في هذه الألفاظ حقيقة، فوضعنا في سرب خفيّ» (1).

كما احتفل الفخر الرأسي (١٥٥٦) هذا النوع في تفسيره، أما احتفاله،
حتى إنه كان يرد في جواب بعض الآيات أكثر من وجه. وقد أفصحت عن د
تفسيره لزوايا سورة البقرة بأنه أحد وجه الإعجاز وعاب على النسخين
غلبتهم عنه (2) فقال: « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بديع ترتيبها
علم أن القرآن كم أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً
معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أساليبه
أرادوا ذلك، إلا أن رأيت جمهور النسخين معرضين عن هذه اللطائف غير
متبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل: 
والنجم تستصغر الأنصار رؤيته وذنب للطرف لا للنجم في الصغر» (3).

وقد كان للرازي عميق الأثر في النسخين الذين جاءوا بعده، لا سيما أبي حيان

---

(1) البرهان (١/٣٨).
(2) الناخي والسرو في القرآن الكريم (٢/١٠) تأليف: د. عبدالكريم العلوي المدغيري، مـهـدـارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٨٨.
(3) قال الزركشي معللاً ذلك: " وقد قل اعتناء النسخين بهذا النوع لنغلفه "البرهان (١/١٦).
(4) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب (١٧٨/١) دار الكتب العلمية، طهران، ط. ٢.
وحدة النسق في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

رشيد الحمداوي

الأندلسي (ت 574 هـ) في "البحر المحيط"، والشهاب الخفاجي (ت 591 هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي، والألوسي (ت 1380 هـ) في "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثنى".

أما في الغرب الإسلامي فقد برز جانب العناية بالتناسب بين الآيات عند أبي الحكم بن بروجان الإشبيلي (ت 536 هـ) في تفسير "تنبيه الأفهام إلى تدبير الكتب الحكيم وتعريف الآيات والنبأ العظيم" (1)، ثم عند أبي الحسن الحرائي المراوكي (ت 638 هـ) في تحقيقه (2). وعند أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي (ت 655 هـ) في تفسيره "ريّ الظلمان في تفسير القرآن"، حيث قصد فيه ارتباط الآية بعضها ببعض (3) ونشرت فكرة التناسب عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ)، فألف كتاب "البرهان في ترتيب سور القرآن" في تناسب السور، كما ألف كتابه "الملاق التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللؤك من آي التنزيل"، وبين فيه مناسبة كل آية من الآيات المشابهة في ألفاظها لمساقها.

وعلى الحرائي وابن الزبير كان اعتماد برهان الدين البقاعي (ت 885 هـ) الذي صنف تفسيرًا حافلاً استوجب فيه المناسبات بين السور والآيات في القرآن كله، وهمه "نظام الدور في تناسب الآيات والسور".

---

(1) انظر ابن بروجان والتفسير الصوفي، محمدي بن عبد السلام الخفاجي، أطروحة الدكتوراه بدار الحديث الحسني (2 / 371 – 391).
(2) انظر: أبو الحسن الحرائي المراوكي، آثار ومنهجه في التفسير، محمدي الخفاجي رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسني (2 / 289 – 299).
(3) معجم الأدباء، ياقوت الحموي (2 / 642) مؤسسة المعارف، بيروت، ط 1، 1999م.
وعلى فتحه سار الإمام السيوطي (٩١١م) حين ألف كتابه جامعًا لманاسيب السور والآيات مع بيان ما تضمنه القرآن من وجه الإعجاز واساليب البلاغة حَمَّاه "أُسَرَار التَّنْسِيَل" (١)، وقرأ كتابًا لتناسب السور حَمَّاه "تناسق الدور في تناسب السور".

ومع أنهم كانوا يؤكدون أن فائدة هذا العلم هو "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأخناف بعض، فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حال حان البناء المحكم المتلازم الأجزاء" (٢)؛ فإن قصارى ما كانوا يعملون أكثرهم هو التمام بعض أوجه الربط بين الآيات دون أن يضعوا أبدًا على الخط الباطن الذي تنظم فيه حبات عقد السورة، وكانت عنايتهم بالمناسبات من باب استجلاء اللطائف التفسيرية التي يستدله بها على جمال القرآن وعلم نظمه، باعتبار التناسب المعنوي من محاور الكلام، مما جعل علم الناسبات من مُلَتح علم التفسير لا من متبنيه. وقد أوغل في البدء عن تحقيق ثمريته حين صارت المناسبات حبيسة لبعض الاصطلاحات البلاغية والظواهر الأسلوبية، كما يجده عند الزركشي (٧٩٤م) والسيوطي حيث يتحدثون عن التناسب حديثًا البيانيين ويستعرضون أساليب السريت بين الآيات: كالأحتمال، والمضادة، والاستطراد، والذيل، والطبع، والالتفات والاعتراض وغيرها (٣).

وعلي هذا النحو كان محمد الطاهر بن عاشور في بيانه للتناسق

"التَّحْرِير والتنوير" يوظف مبحث الجمل من النحو ومباحث الفصل والوصول

(١) انظر تناص الدور حيث ذكر الأنواع الأربعة عشر التي اشتمل عليها هذا الكتاب (ص ٣٥ - ٥٤).
(٢) البرهان (١/٣٢).
(٣) انظر المصدر السابق (١/٤٠ - ٥٥)، والإفتاء في علوم القرآن (٢/١٠٨ - ١٠٩).
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

والاستناد إلى البنياني والابتدائي من البلاغة وغير ذلك (1)، ويغرق المناسبات في سبل المصطلحات الأسلوبية.

ومن جهة أخرى فإن بعض المناسبات التي ذكرها بعض أولئك المفسرين لم تكن من شيء من التكلف والتمالح (2)، وذلك لخفاء وجه التناسب ووقته في كثير من الآيات، واعتمادهم في بيانها على مجرد السراي والمواقف، وذلك ما جعل بعض العلماء كالعز بن عبد السلام (ت 260هـ) يشترط أن تُلمس المناسبة في كلام متحدد يرتبط أوله بآخره، فإن وقع الكلام على أسباب مختلفة لم يلزم في رأيه أن يكون أحد الكلامين مرتبطًا بالأخر (3).

وبالغ الإمام الشوكياني (ت 125هـ) فعد علم المناسبات علماً متكاملًا ليس من ورائه فائدة، وأنغى بالائتما على المفسرين الذين اشتهروا به، وأطلال الاحتجاج في إبطال هذا المسكل (4).

ولكن إنكاره محمل على أوجه التناسب البعيدة; إذ هو نفسه كان يذكر في تفسيره بعض المناسبات القرآنية حين بيبان علة انتقال سياق الآيات من موضوع إلى آخر (5).

---

(1) انظر (1/116؛ 277) الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م.
(2) وهذا ما تتعلق به الشوكياني فقال: "وهذا أنه أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المروعة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، جازوا بتكملة وتعسفات ينيرا منها الإنسانية، ويتنزه عنها كلام البلاغة فضلًا عن كلام الرف سببته “فتح القدر” (1/22).
(3) انظر الرهاني (1/27).
(4) انظر فتح القدر الجامع بين الرواية والدردش من علم التفسير (1/45-87) ط. ابن كثير، بدمشقي.
(5) انظر (1/183 و184 و188 و241).
وردد هذا النقد هو أن معظم المفسرين الذين اعتنوا ببيان المصاحبات كانوا يصرفون أنظارهم إلى التناسب بين الآيات معتددين على السياق القريب دون أن ينظروا إليها نظرًا تجميلية يشرفون فيها على بناء السورة ليصبحوا موقع كل قضية تناولها من نظامها الكلي الذي وضعه عليه في مجملها، وهذا ما جعلهم يذكرون أحياناً مناسبات بعيدة وأوجها ضعيفة لا تبرز التحاق الآيات واتساق معانيها، وإما تزيدها تفكيكًا وانفصالًا، ومن ثم لم تحقق تلك المصاحبات المرجوة منها، لأنه:

كانت منفصلة عن فضلة السورة المحدود التي تتشكل حوله سائر موضوعها.

وعدل أول من صرح بعلاقة المصاحبات الوثيقة مقصود السورة العام هو أبو الفضل المنشدي البحتري (ت 765 هـ) (1) الذي أخذ عنه الباحث المنهج الأمثل في التوصل إلى أوجه التناسب بين الآيات. وقد نص على ذلك في مطلع تفسيره للفاتحة حيث قال: «قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلاء القدوة أبي القاسم محمد المنشدي البحتري عن الملاكي علامة الزمان: الأمر المفید لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أن تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، ونظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، ونظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلب، ونظر إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل يدفع عن الاستجواب إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهمين على حكم الرابط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك - إن شاء الله - وجه النظم مفصلاً بين كل آية وأية في كل سورة سورة" (2).

---

(1) مفيض تجابة وخطبها، من مؤلفات المفسر البحتري أبو الفضل المنشدي البحتري (ت 765 هـ).
(2) نظام المدرر في تناسب الآيات والسور (1718-1719)، توزيع في المكتبة ابن تيمية، ط 1، 1969.
البحث الثالث

عناية العلماء المتقدمين بيان مقاصد السور

من أوائل المفسرين الذين استبصروا بوحدة نسق السورة وأدركوا أن لكل سورة مقصودًا رئيسًا تدور عليه جميع أجزائها أبو الحكم بن برجان، إذ كان يشبه في غير موضوع على غرض السورة الذي تأسست عليه، لا مسماً في الربع الأخير من القرآن، ومن أمثلة ذلك قوله في سورة الفهم: "الغرض الأساسي فيها هو إثبات نبوة محمد عليه السلام وتصحيح رسالته وأنه في ذلك على سبيل سلاوك للأنبياء والرسل عليه الذين أرسلوا إلى أمم منهم، فعضوهم وهم أهلكهم الله، وأن موعدهم الساعة. والحض على التذكير والتفكير والاعتبار وأن العقيدة للمؤمنين والمثقفين (1)، وتتردد عنده أمثال هذه العبارات: "وتأسس تنزيل هذه السورة", "المراد إثباته في هذه السورة", "الغرض في هذه السورة".

وقد رأى بعض الباحثين (2) أن استشعار الموضوع الكلي للسورة قد ظهرت ملاحظه عند الراتي، وضرب له مثالاً يسماً حيث يقول في سورة النساء: «أعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتطف على الأولاد والنساء والآيتة والأيتام وعذبةهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أمورهم عليهم، وهذا المعنى ختمت السورة» (3)، وهو -كما ترى- لم يكشف عن غرض السورة الأساسي، وإنما ذكر الطابع العام

(1) انظر: ابن برجان والتفسير الشافعي (2/402).
(2) د.رفعت فوزي عبد المطلب، الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية (ص 7)، دار السلام، القاهرة، 1986م.
(3) التفسير الكبير (3/159).
الذي يغلب على موضوعها.

ومن استشر بالاختلاف سياق كل سورة عن غيرها الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشري في تفسيره "لطائف الإشارات"، وهذا ما أفضح به محققه الدكتور إبراهيم بسيوني في مقدمته حيث قال: "سار القشري في اللطائف على خطة واضحة محددة. فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة... ومع تكرار البسملة في كل سورة فإنه يفسرها كل مرة على نحو ملتف للنظر... ويزداد إعجابًا بالقشري كلمة وجدنا تفسير البسملة يمشى مع السياق العام للسورة كلهها". (1)

ومن تنبه إلى الغرض الأساسي للسورة أبو جعفر بن الزبير الغرناطي الذي كان يبين التناسب بين بعض السور في كتابه "البرهان" على تلاحم مقاصدها.

ومن ذلك بيانه نجمل معاني سورة البقرة، حيث استعرض أبرز معانيها وخلاص إلى وجدنا قائلًا: "ففحص من السورة بأسرها بيان الضرات المستقيم على الاستفادة والكمال أخذًا وتركًا، وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تكب عنه". (2)

وذلك قوله عن سورة المائدة: "ففحص من جملتها الأمر بالوقاء فيما تقدمها، وحال من حاد ونفض، وعاقبة من وقى وآهم الصادقون". (3)

ومن العلماء الذين تبهوا إلى تعافي موضوعات السورة المختلفة ودورها

(1) لطائف الإشارات (١ / ٢٦٦ - ٢٦٧، ٣٢١ - ٣٢٢، ٤٤٤، ٤٤٥ - ٤٥٠، ٤٦٧ - ٤٧٢).

(2) البرهان في ترتيب سور القرآن (ص ١٩) تحقيق محمد شعبان، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب ١٩٩٣.

(3) المصدر السابق (ص ٣٢٠ - ٣٢١)، والمرجع (٢٠٥ - ٢٠٧، ٢٦٧ - ٢٦٨، ٢٧٢ و ٢٨٣ - ٣٢٩)، وفي面包 نقد الإعداد.

١٦١
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

رشيد الحمداوي

 حول غرض واجب ابن تيمية (ت 765) وتعلم ابن قيم الجوزية (ت 782)؛ أما ابن تيمية فتحديدًا عن بعض السور كان يُشـبَّه باستِعْباره بالهدف المحوري للسورة وتناسب معانيها المتفرعة، ومن أمثلة ذلك قوله: "سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم، والأمر والنهي؛ وعـلى عـن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: هي آخر القرآن نزولًا فافحلوا حلالها وحرموا حرامها، وهذا افتتحت بقوله: «أتبِنِيَـهَا اللَّهُ مَأَوْىٰٞ أَوْقَىٰ».[نـسـة 6]، والعقود هي العـهود، وذكر فيها من التحليل والتحريم والإلغاب ما لم يذكر في غيرها، والآيات فيها مناسبة مثل قولـه: "كِلَّاهَا الدِّينُانَ مَأَوْىٰٞلَّا تَقْدِرُوا إِلَّا مَا أَحْلَالَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا مَمْضِيقْتَانِ إِلَّا لَجِيبُ الْمَعْتَقِدِينَ [...][نـسـة 18].".

 وكان يبين أن المعني على تشبها مناسبة في موضعها، ولذلك قال عند استعراضه لمواقع سورة البقرة: "فندب تناسب القرآن وارتباط بعضه بعض".]

 أما ابن القيم فمع أنه لم يصف كتابًا بالتفصيل، إلا أن ما ببه في تضاعيف كتبه المتعددة قد يدلنا على النفاذة للسياق العام للسورة القرآنية واستهلالي لمقصودها، ومن أبرز الأمثلة التي وقفت عليها قوله بعد تحليل بديع مجموعة آيات سورة العنكبوت: "فمصادم هذه السورة هو سر الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوئ في الدنيا والأخرة، ومن تأمل فائتهما ووسطها وخاتمها وجد في ضمنها أن أول الأمر ابتلاء وامتحان، ووسط صبر "

(1) مجموعة فتاوى ابن تيمية (448 / 1448)، ونظر وصف القرآن بأمام سور القرآن لفروعه الدين عصوله وفرعه وبيانه لتقرير حدواتها لمضموها (14 / 21 و129).

 (2) المصدر السابق (444/14).

 ١٦٢
وتهك، وأخبره هدیةاً ونصر» (۱).

ومن لمح وحدة نسق السور القرآنية مع تعدد القضايا التي تضمنها أبو إسحاق الشافعي (ت.۹۷۰)، إذ استبان له أن السورة وإن تعددت قضاياها فهي باعتبار النظام كلام واحد متصل من أوله إلى آخره، فلا يُسوَّخ لنا تعدد قضاياها أن ننظر إليها باعتبارها أجزاء مستقلة عن بعضها، بل لا بد من استيفائها بالنظر لمن أراد التفهيم السديد لها بناء على أن نظمها وترتيبها مأخوذ من الوحي، وقد أعرب عن ذلك فقال: «وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام، وأخره بحسب تلك الاعتبارات. فاعتبار جهة النظام مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فلا الاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد النظر في جميعها، فسورة البقرة - مثلاً - كلام واحد باعتبار النظام، واحصت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والمتمدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو المؤكد والمتمم ومنها ما هو المقصود في الإيزنال، وذلك تكبير الأحكام على تفاصيل الأبواب منها، ومنها الخواص العامة على ما قبلها بالتأكيد والثبات وما أشبه ذلك» (۲).

وقد ضرب مثلاً آخر لسورة تعددت معانيها وبين أن جميع أياها تدور على مقصود واحد، فقال: «وسورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة وإن اشتملت على معان كثيرة، فإنها من المكيات، وغالب المكي أنه مقرر للتحل من معان أحصائها معين واحد، وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى، أحدثها: تقرير الوحدانية لله...»

(۱) بدلائع التفسير لابن القيم، جمع: يسري السيد محمد (۳۷/۳۷۰) نقلًا عن شفاء العليل (۲۴۷)، ۱۶۱.
(۲) الموافقات في أصول الأحكام (۱۳۱/۳۱۰)، دار الكتب العلمية ب. ث. ۱۶۳.
وحدة النسق في السورة القرآنية: فواينها وطرق دراستها

والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد والثالث: إثبات أمر البعث والنداء الآخرة وما ظهر بابدي الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصل الأمر فإذا تقرر هذا وعدنا إلى النظر في سورة المؤمنين مثلًا وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجه، إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة التي هي المدخل للمعنين الباقين. وعند استعراض جملة من آياتنا والربط بين معانيها خلص إلى وحدة موضوعها قالنها: «فسورة المؤمنين قصة واحدة في شيء واحد».

وقال في موضع آخر مؤكدا أن النفقي الورد في قوله تعالى: "لَيْسَ ابْنِيُّ الْقُرْآنِ» فأرد على ظلم مخصص وهو الشرك والاقترار على الله والتكذيب بآياته: "فإن سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على المخصص؛ فإن السورة من أوعها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد وفادحة لقواعد الشرك وما يليه«. كما ذكر في موضع آخر أن سورة البقرة هي التي قررت قواعد التشويق.

وقد اكتمل الإحساس بوحدة بناء السورة وت教え موضوعها عند البغاصي الذي أبدي علامة جدًا من علوم القرآن هو علم مؤسس السورة، وألّفه بكتاب استعرض فيه موضوع كل سورة، وبين فيه مناسبة اسمها لغرضها الذي تدور عليه سائر معانيها، قال في مقدمته: "فإن كل سورة لها مقصود واحد يدار على ألوهها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتيق وجه وأبدع

(1) المصدر السابق (312 / 3).
(2) المصدر السابق (312 / 3).
(3) المواقفات (ج 3 / 205).
(4) المصدر السابق (ج 3 / 205).
تحمّل، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلم قرأ، فإذا وصل الأمر إلى غايته حتى ما منه كان إبداءً، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه في تحديد آخر بديع، ومريقي غير الأول معين، وأخير السورة قد وصل أوها كما لاحق انتهاؤها ما بعداها، وعائق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوافع الآيات الغير، البديعة النسخة الجميلة

الضمّ... (1).

وقد وقع في إبراز وحدة السورة ودوران موضوعاتها المختلفة على غرض واحد، وأورد مثالاً تطبيقياً في المقدمة بين فيه كيف تولت أجزاء سورة البقرة على إقامة الدليل على أن الكتاب هدى مما دل على أنه مقصودها الشروعي فقط، ردّه فما فيه مقصود سورة البقرة وصف الكتاب المذكور أوها بصريه أحمد الناظر بأصل مدلوله إلى جمعه لكل خير، المشروع بوصفه إلى ما في آخر الفاتحة من سؤال الهدية والإبعاد من طريق الضلال، ثم يوصفه في قوله: (۲۸۸:۵) إلى آخره. وذلك هو جملة أوها لكوها تعبيناً لرؤوس من شمله ووصف النوى في فاقتهما... (1).

ثم راح يستعرض مساقات الآي وأجزاء السورة ونبيه كيف أتزمت هدف السورة الذي ذكره، وأها ترجع إلى بيان شأنه مرة بعد أخرى (حين) عرفّ أن مقصودها وسر معانيها وعمودها» (3).

(1) مصاعد النظر إلى الإشراف على مضايق السور (١٤٨/١)، تحقيق عبد السيد محمد أحمد حسن، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، ١٩٨٧م.
(2) المصدر السابق (١٣٩٠/١). (١٥٠/١).
(3) المصدر السابق (١٣٩١/١). (١٥١/١). ١٦٥
جهود المعاصرين في الكشف عن مقاصد السور

أما المعاصرون فإنهم قد أفادوا مما وصل إليه المتأقرون في هذا السـنـان،
وماروا خطوات ثابتة نحو استحالة المجوز الذي تـشـد إليه جميع موضوعات
السورة، وقد استـطاع بعضهم أن ينظر في تقسيم أجزاء السورة ويـبـتـر
بناءها المتكامـل المتـسـق، ويضع يده على غرـضـها الرئيس بشكل آدق مما توصل
إليه بعض المفسرين من قـبـل.

و في طلبـة المفسرين الذين أدركوا وحدة السورة وحسن تنسقها رـشد
رضاء، فقد ألمع في تفسيره إلى كون الجمع بين الموضوعات المتـعـددة والـتـسـيـج
الواحد المتماسك أحد دلالـت الإعـجاز، فقال: "إن التفـنـين في مسائل مختلفة...
منتظمة في سلك موضوع واحد هو من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المذهبية
التي لم تسبق، ولم تبلغ شأوـه فيها بلـيغ، والكلام لم يخرج هذا التنويع عن النظامه
في سلكه وحسن اتساقه"  

و يعد أدب العربية مصطلح صادق الرافعي من الذين تبينوا في بناء
السورة رابطاً خفيفًا ينسا الجلك فيها أمرًا وفياً وتبـيـشـرًا
وتجميحًا وإحكاـرًا وتميـلا، وقد سمي هذا الرابط بروح التركيب حيث قال: "فهذه
روح التركيب وهذه الوحدة الموضوعية هي التي تميز القرآن عن غيره رغم تعدد
الوجهات التي تصرف فيها أنواع الكلام كالقصص والآيات والحكاـم
والتعليم وضرب الأمثال والجدل والنشبـرع ... ولا تلم تلك الروح تخرج أجزاء

(1) تفسير المنار (1189/289)
متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني وواقعها في النفس، وعلى مقدار ما بين الآلفاظ والأسلوب التي تؤديها حقيقة ومجازًا، كما تعرف كلام البلغاء عند تبسان الوجوه التي يصرف فيها» (1).

ومن المفسرين الذين حاولوا التنبه على مجمل أغراض السورة محمد الطاهر بن عاشور، وقد نص على ذلك في مقدمته حيث قال: «و لم أُغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورًا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنا فقر متفرقة تصرف عن روعة انسجامه وتحجب عن روائع جماله» (2). ومن ذلك تقسيمه لأغراض سورة البقرة بعد أن قرب تنوع مواضيعها إلى قسمين:

الأول: يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه، وأصول تطهيره

الثاني: يبين شرايع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم... وكان في خلال ذلك أضواء شوق سيقبت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات ... (3).

ولكن أحسن من استشعر وحدة التنسيق القرآني واستدل لها وأطنب في إتباعا وعمد إلى إبرازها تطبيقها في إحدى سورة القرآن الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه "النابا العظيم"، حيث توعى بيان حسن التأليف في السورة الواحدة التي تتكون فيها الموضوعات باعتباره أحد وجهة الإعجاز، فإن القرآن كان ينزل منجمًا حسب الوقائع والدواعي المحددة، وأن الانفصال

(1) إعجاز القرآن (٢٤٥)
(2) تفسير التحرير والتوير (١ /١٨ /٨).
(3) تفسير التحرير والتوير (١ /٢٠٣ /٣).
وحدة السجق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

الزمني بينها واختلاف دواعيها كانا داعيين إلى ضعف الترابط وعدم الانسجام، ومع ذلك فإن تدبر أي سورة يوقفك على جليل الانتقام ويدعو التناسق بصورة لا تعرف منها أنزلت في نجم واحد أم في نجوم شين، وقد صور مماسك بناء السورة فقال تعالى بليغ: "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنحجة بسماها الجاهل أضلاعا من المعاني حشيت حشو، وأوزاعا من المباني جمعت عفوًا، فإذا هي لسو تبدبت بيئة متماسكة، بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وقصول، فلا تزال تنطلق بين أجزائها كما تنطلق بين حجرات وأفنيا في بئان واحد قد وضع رحمه مرة واحدة، لا تخس بشيء من
تناكر الأوضاع في التقيد والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجزاء المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين أحداث الجنس الواحد فنذابة التضامن والانتهام، كل ذلك بغير تكفل ولا استعانة بآمر خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولفظ التميهيد..." (۱).

ثم بين دراز أن الصلة بين أجزاء السورة لا تعني اتجاها أو تماثلها أو ما إلى ذلك، بل إن القرآن سلك في الانتقال من معين إلى آخر مسالك شين، فتراه تارة تجاوز بين الأضداد فيبرز محاسنتها ومساواتها، وتارة بعد إلى الأمور المختلفة من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها بسوب بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل أو الاستعراض إلى غير ذلك، وأحيانا يقرر بين معنيين في النظم لاقتراحهما في الوقوع التاريخي أو الوضع المكاني استجابة لحاجات النفوس التي تتداعى فيها تلك المعاني (۲).

۱) اللفظ العظيم: نظريات جديدة في القرآن (۱۵۵)، دار القلم، الكويت، ۱۹۷۰.
(۲) المصدر السابق (۱۲۴- ۱۲۵).
وقد اختار سورة البقرة نموذجاً على وحدة النسق في السورة القرآنية، فهي أطول سور القرآن، وأكثرها نجومًا وأبعدها تراكيزيًا، وتبث دواع قوية لجعل نظام هذه السورة متبانين المعاين متبانين الأجزاء، ومع ذلك أثبت أن بين أجزائها وشائع قوية، وأوضح أن بينها تتألف من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة، والمقدمة في التعريف بشأن هذا القرآن، وأنه لا يصد عنه إلا من قلبه مرض.

والمقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.
والمقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب خاصة إلى ترك باطلتهم ودخولهم في الإسلام.
والمقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.
والمقصد الرابع: في ذكر الواقعي الذي يبعث على العمل بتعلق الشرائع وعصر عن خلافتها.
والخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة للمقاصد المذكورة وبيان ما يرجى الهام في الدنيا والآخرة.

وقد حاول أن يعرض السورة عرضًا إجماليًا يبين فيه خط سيرها إلى غايتها، ويرز نظمها المعنوي في جملتها، ويظهر كيف وقعت كل حلقة موضعها في السلسلة الكبرى، وكيف أن كل قسم ملتئم في نفسه، ومنطق مع سائر الأقسام، ولعل دراز يكون بذلك أول من سن التفسير الإجمالي الذي يلاحظ.

(1) فقد نزلت في نيف وثمانين تحنا، ومن آياها ما نزل في أوائل السنة الثانية للهجرة، ومنها ما نزل في آخر السنة العاشرة (ص 158).
(2) المصدر السابق (ص 163).
وحدة السورة في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

وحدة أجزاء السورة. وإن كنا نلاحظ أنه لم يعير بعبارة جامعة تشمل المقاصد الأربعة وترجعها إلى مقصود واحد على نحو ما يصنع البقاعي.

وإذا كان عمل دراز قد توقف عند سورة البقرة، فإن سيد قطب كان
من أوائل المفسرين الذين أبرزوا وحدة السورة في السورة القرآنية ككلها تطبيقياً في
كتابه "في ظلال القرآن"، فقد استشعر أن السورة وحدة متلاحمة، قد تعددت
مواضيعها وتنوع مقاصدها ولكنها تسد في النهاية إلى مصير واحد وهو غايتها
ومآلها. وقد أفضت به رحلته في ظلال القرآن وعışı بين جنباته إلى أن يفسح
بذلك قائلاً: «إن لكل سورة من سور القرآن شخصية مميزة، شخصية لها روح
يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي من الملاحم والسموات
والأنفاس، وها موضوع رئيس أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى مصير
خاص، وها جو خاص يظل موضوعاً كلها. ويجعل سياقها يتناول هذه
الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو» (1). ويقول في
موضوع آخر: «إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات
ملامح متدرجة، وذات منهج خاص، وذات أساليب معينة، وذات مجال متخصص
في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبرى، فإما أنها تتجمع على
الموضوع والغاية» (2).

وهذا كان يعتمد إلى افتتاح السور التي يفسرها بعرض خطوطها العريضة
وموضوعاتها البارزة بحيث يبين انسيابها منبناً على الغرور الخيري الذا
تدور حوله. ثم يسير في ضوء ما قرر ليحلل الآيات ويضع أيديناً بيسر على

---

(2) المصدر السابق (1/12/43)
وجه الانتقال من موضوع إلى موضوع.

ومع أمثلة بيانه لمقاصد السورة قوله في سورة النساء: «هذه السورة
بما تضمنه من تشريعات وتوجيهات تهدف أساسًا إلى محو ملامح المجتمع
الجاهلي وتكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه,
وتلفت الأنظار إلى الدفاع عن كيانه المميز، وذلك ببيان طبيعة منهجه،
والتعريف بأباداته الراصد له من حوله من المسلمين والمشركين
وكيف هيلهم ومكانتهم وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم مع وضع الأنظمة
والتشريعات التي تنظم المسلم، ونصبه في قالب موضح» (1).

ومع ذلك قوله في موضوع سورة الأعلام: «إن موضوعها الذي تعالجه
من مبدئها إلى متنهما هو موضوع العقيدة بكل مقوماتها وبكل مكوناتها، وهي
تأخذ بجماع الناس البشرية، وتطرف بما في الوجود كله ... إذا تطور بالنفس
البشرية في ملكوت السماوات والأرض، تلحظ فيها الظلمات والثور، وترقب
السمسم والقمر والنجم، وتسرح في الجنات المعروشات وغير
المعروشات...» (2).

ومع أمثلة عنايته بمحور السورة العام وعلاقته وربطه بسبائك قوله في
سورة الكهف: «محور السورة هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج الفكر
والنظر، وتصحيح القيم ميزان العقيدة، ويساهم سياق السورة حول هذه
الموضوعات الرئيسية في أشواط متتابعة» (3).

(1) المصدر السابق (2) (555 / 2). (2) المصدر السابق (1) (1016 / 2). (3) المصدر السابق (5) (52).
وحدة النسق في السورة القرآنية: فواضدها وطرق دراستها

ويقول أيضاً في سورة النحل مبيناً مناسبة التعبير بقوله تعالى: 

(1) أنقر (بسم الله الرحمن الرحيم)

أنتمُ لَا إِنَّهُ لَا أَنَا فَأَقْتُوبُ (النحل: 2) لنسق السورة: "معظم سياق السورة يدور حول المكذبين والمشركين والجماعدين لازمِنة الله، والمسلمين ما أحلل الله، والناقضين لعهد الله، والمرتدين عن الإيمان، ومن ثم يكون إظهار الإنذار أيقظ في هذا السياق. وتكون الدعوة إلى التقوى والحذر والخوف أولى في هذا المقام" (1).

كما التفت رحمه الله إلى تناسق بعض السور القرآنية المتوازية في ترتيبها، والوضائع التي تصل بينهما، ومن ذلك قوله في شأن سورة المائدة: "ومن ثم نجد في هذه السورة كما وجدنا في السور الثلاث الطوال قبلها - موضوعات شين، الرابط بينها جميعاً هو هذا الهدف الذي جاء القرآن كله لتحققه: إنشاء أمّة وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع، على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد...الأصل فيه إفراد الله سبحانه باللهوية والروبية والقوة والسلطة، وتلقى منهج الحياة وشريعتها ونظماتها وموازينها وقيمها منه بلا شريك..." (1).

وقد كان لسعيد قطب أعمق الأثر في باقي المفسرين المعاصرين، وأول من تأثر به شقيقه محمد قطب الذي استجذب هذه الخصائص في دراسته القرآنية، وتكشف له أن ما يذكر ذكره في سورة مطعمة لا يكون تكراراً تاماً، بل إنه يحمل دلالات جديدة حسب السياق الذي ورد فيه، وقرر: "أن كل سورة من سور القرآن على إطلاقها لها شخصيتها المميزة وحُكوها الخاص، وإلى نص من نصوص القرآن - وإن بدا متشابكاً - فإنه يأخذ حَو السورة التي يرد فيها، ومن ثم تكون له...

(1) المصدر السابق (454/6).
(2) برامج الظلال (2/825) بتصريف بيبر.
وقد خصصت دراستي لسورة البقرة، ثمها على وحدة موضوعاتها مع تنويعها بشكل
لا مثال له موضوعات سورة أخرى فقال: "ولأول وهلة يبدو هذا الحشد مجرد
انتقال من موضوع إلى موضوع بغير نظام! وذلك الذي يقوله الذين لا يعلمون
من المستشرقين وتلامذهم المتطرفين! ولكن هذه السورة ورغم طولها ذلك، ورغم
هذا الحشد المتعدد من الموضوعات، ذات تسبيخ دقيق في بنائها، يربط هذـا
الحشد المتعدد كله في روابط محكمة، بحيث يصبح له على تنويع أهداف واضـحة
محددة، وشخصية موحدة". (2).

وفي تدبره لسورة النساء يستوقفه الانتقال الذي قد يبدو مفاجئًا مـن
حديث عن العقيدة إلى الحديث عن شعبية من الشعائر، إلى حكم من أحكام
المعاملات إلى توجيه اجتماعي أو اقتصادي أو عسكري، ومـي تأمله في ذلك كله
يخلص إلى كون المقصود من ذلك هو تذكيرنا بوحدة هذا الدين وتكامل شرائه
وعلى، وأنه ليس عقيدة فحسب، أو أحكامًا، أو أدابًا فحسب، بل هو كـل لا
يتحز، و علينا أن نلتقاه ونأخذه بكلعبه، قال : "وهذا النسق الخاص من العرض
الذي ينتقل فيه السياق من نقطة إلى أخرى بلا انفصال جدير بأن يكشف لنا
عن هذه الحقيقة في هذا الدين، وهي اتصال موضوعاته وحزباته اتصالًا عضويًا
غير قابل للانفصال .. بالضبط كما يعرضها السياق القرآني، متصلة على
اختلافها ولا انفصال .. والله يريد لنا أن نعرف على ديننا في
صورة الشاملة المتصلة المتسلسلة، ولكلنا يتحزنا في حسننا وفي ممارستنا إلى

(1)  دراسات قرآنية (٤٤٨).
(2)  المصدر نفسه (٢٧٧).
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

صرحت الشاملة المتممة المتعلقة المتراَبة، ولكنها يتجزأ في حسننا وفوق ممارسنا إلى موضوعات منفصلة لا يربط بينهما ربطًا 

أما محمد عزة دروزة فقد نص في مقدمة تفسيره على أن مسلمة
منهجه الاهتمام ببيان ما بين آيات السور وفصولها من ترابط كلما كان ذلك
مفهوم الدلالات لتجلية النظم القرآني والتلاحم الموضوعي فيه (1)، ولكن لم توضح
له المخاروض الموضوعية والمقاصد التي تهدف إليها السورة، ثم إنه يخاف عن سبيل
الصواب حين رتب السور على حسب ترتيب النزول بدل ترتيبها كما جاءت
في المصحف. ويكون في نقض هذا المنهج أن كثيرًا من الآيات لا يدرى على
وجه الدقة زمن تزولها، وبعض السور اجتمع فيها ما نزل قبل الهجرة وما نزل
بعدها وما نزل في زمن وما تأخر عنه في النزول بدقة محددة. ولا توجد أداة على
ترتيب النزول بشكل يستقصي القرآن كله، وذلك من تدبير الله لكتابه؛ حتى
لا تتمكن الأمة إلا في ترتيب التلاوة الذي استقر عليه وما ينويه من حكّم وما
يترتب عليه من فوائد.

ولكن أهم من سار على فتح سيد قطب وعمق الخط الذي ابتداه -فما
أرى- هو سنعًا محدود في كتابه "الأساس في التفسير"، إذ لم يقتصر فقط على
وحدة نسق السورة، بل بين بيانه هذه الوحدة على نظرية شاملة تنطلق من
وحدة نسق القرآن كله. فقد حرص على ربط معاني كل سورة بنفسها بمطلع
سورة سبقتها أو موضوعها أو إحدى آياتها، كما اهتم في السورة الواحدة بإبراز
الروابط المعنية بين المقاصد وال الموضوعات التي تتضمنها بعد تقسيمها إلى

(1) المصدر نفسه (٤٠٥-٤٠٦).
(2) التفسير الحديث (٣/٨).
مجلة معهد الإمام الشافعي للدراسات القرآنية
العدد الثالث (جمادى الآخرة 1428 هـ)

يعرض بعد تفسير كل مقطع إلى ذكر وجه مناسبته لباقي المقطع، وبين بعد
المقطع كسم اتصاله بالقسم الآخر. ومن ذلك قوله: "إن القسم الثاني يكمل
القسم الأول ويكمل مقدمة السورة في الدلالات على القوى أركانًا وطريقًا
 واستقامة. ومن خلال القسم الأول والثاني نعرف محتوى أركان الإسلام الحتمية في
قضية التقوى. فالملاحظ أن مقدمة سورة البقرة ذكرت من أركان الإسلام:
الإيمان والصلاة والإفطار، فذكر القسم الثاني من أركان الإسلام الصوم
والحج. وبعد ذلك يأتي القسم الثالث فيتحدث عن أمر السدخول في
 الإسلام... وفي ذلك كله مظهر من مظاهر وحدة السورة وتكامل معانيها
 وارتبط بعضها ببعض" (1).

وقد برر في تقسيم مقاطع السورة واستهدى بالمعاني المستقلة مع
الاستناد بعض الكلمات القرآنية المكررة في موضوع مثن السورة، حيث
اعتبرها علامة لا بد من مقطع جديد. وقد أصح بذلك في تفسيره لسورة الأعوان
فقال: "جريا أن تعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعده المعنى في
تحديد بداية المقطع وما حاوله، ولكن الشيء الأكثر تحديدًا والذي يجعلنا نحدد بـه
المقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعنى" (2)، ومن أمثلة ذلك محا
صعة في سورة (ص) حيث قسم المقطع الأخير منها إلى ثلاث مجموعات، كل

المجموعة الأولى تبدأ بقوله تعالى: قُلْ إِنَّا أَمَّيِدُوُّ [بِهِ:5،65].

المجموعة الأولى تبدأ بقوله تعالى: قُلْ إِنَّا أَمَّيِدُوُّ [بِهِ:5،65].

175

(1) (365/1) دار السلام، القاهرة، ط. 5. 1995.
(2) المصدر السابق (3 / 1567 / 1995).

وحدة النسق في السورة القرآنية: فوازدها وطرق دراستها

والمجموعة الثانية تبدأ بقوله تعالى: {قل هو بنعوت عظم
المتكاففين} [الآية: 27].

وعليه يكمله، فهو يقول مثلا عن سورة المائدة: "إن سورة المائدة تفصل فيما هو نقص للميثاق، و فيما هو قطع لما أمر الله به أن يوصل، وفيما هو إفساد في الأرض، فتدعونا نتركه وتطلبا بما لو فعلنا لا تكون فائضين ولا خاسرين... فهي تكمل سورة النساء، فإذا كانت سورة النساء قد فصلت فيما هو من التقوى، فسورة المائدة تفصل فيما ليس من التقوى لتميق عندنا قضية التقوى وتحقيقنا بما تخلصنا من أصدادها ...")

وقد تميل سعيد حوّى بمحاولة رائدة في كشف النسق القرآني العام ملمساً لخطوئ الوحدة بين طائفة من السور المتواجية في ترتيب المسحوف، ويعبر عنها بكلمة زمرة، ويعني هنا مجموعة السور التي تتبع في خصوصية معينة ولكنها تنسب إلى أكثر من مجموعة داخل القسم، وذلك كزمرة الحواميم التي

(1) المصدر السابق (9 / 854 - 1297 / 1978 - 1978) باحترام
(2) المصدر السابق (3 / 1297 - 1978) باحترام

176
قدم لها في مقدمة سورة غافر تحت عنوان "كلمة في زمرة آل حَمّ". ثم ختم الحديث عنها في سورة الأحقاف تحت عنوان "كلمة أخرى في سورة الأحقاف وزمرة آل حَم". تحدث فيها عن مضمون هذه السور وأوجه التناسب بينها.

كما انتهى نظره إلى النسق الذي تشكله السور القرآنية واكتشف أن سورة البقرة تفصيل لما أجملته سورة الفاتحة من مقاصد ومعان، وأن السور التالية لسورة البقرة تفصل في معان واردة فيها. بحيث تصل كل سورة بآية في سورة البقرة وباربطاتها وامتدادها، فسورة آل عمران تلقى أضواء التفصيل على الآيات الأولى من سورة البقرة.

وسورة النساء تقابل بعد ذلك في سورة البقرة: "نَبِيّنَا أَنَا هُدِيَ وَرَبَّكَ نِصْرًا بِاللَّهِ" (القرآن: 2:21) حسب تأويلها. لمطلع سورة النساء: "َِّبِنِي أَلْبَسْتُنَا نِجَاحًا رَيْمًا أَنَّى خَلَقَكُمْ ثُمَّ نُعَمِّكُمْ ثُمَّ نَعْمَكَ حَتَّى نَحْتَفَّلُوا به". وسورة المائدة تفصل في قوله تعالى: "َّيُحْضَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ مَن يَعْدَ". مبكيه من أمر الله بـ "بُيُطَمُّونَ مَا أَمَّنَارَ الَّذِينُ يَهْدُونَ يُعَمَّرُونَ فِي الْأَرْضِ". وتcorp "القرآن: 2:27"

منها على أن سورة المائدة مبدوة بـ "ِّبِنِي أَلْبَسْتُنَا نِجَاحًا رَيْمًا بِاللَّهِ". و"الْعُمَّرُونَ مَن يَعْدَ".

المصدر السابق (9/4925).
المصدر السابق (9/2588). وانظر كلامه عن زمرة "أم ام ، العنكبوت والروم ولقطان وسورة السعدية". في ثلاثة هذه الزمرة في سورة السعدية تحت عنوان "كلمة أخيرة في سورة السعدية وزمرها" (8/4375). 177
وحدة النسيج في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

وتفصل الأعوان في قوله تعالى: 

فأحبسهم ثم لم يبعثُهم ثم لم يعجلهم ثم أتدهمتهم أو ما في الأرض جمعاً (القرآن: 128-29) ، وتفصل سورة الأعراف في قوله تعالى: 

فمن بعده و قل حفظ عليهم ولا هم يحزنون (القرآن: 2: 83) ملاحظة: في السورة الآية و مقدمة سورة الأعراف، أما سورتنا الأنفال والنثرية فإنما يفصلان في محر واحد من سورة البقرة وهو قوله تعالى: 

۱۱۷۷ و يشبه القاري إلى ملاحظة الصلة بين استفادة الآية بالسؤال واستهلال سورة الأنفال بالسؤال أيضاً.

وإلاما اعتبر سورة البقرة محرراً لسائر سور القرآن، وما عداها تفصيلاً لـ ورد فيها لأن سورة البقرة جامعة لمقايس الدين ومجمل أحكامه، متنوعة لأهداف القرآن ومراجه. وفي ذلك يقول: «وكل قسم من الأقسام يكمل بقيته، فقسم الفصل يكمل قسم الثاني، وقسمما المتأن والفصل يكملان تفصيل قسم الدين، والأقسام الثلاثة تكمل تفصيل قسم الطوال، وهذا كله قواعده وأسعارهه، وكان ذلك قد ربط بخيوط إلى سورة البقرة، فكناها الأصل الذي بنى عنه بانتظام فروع أولى، ثم فروع ثانية، ثم فروع ثالثة، ثم فروع رابعة، فكناها شجرة فيها أربعة وعشرون غصنًا، كل غصن له فروع وأوراقه وثماره وارتباطاته بسورة البقرة. ارتبطاً منتظماً دقيقًا» (1).

ويوضح سعيد حوّى الصلة بين بناء القرآن على هذا النحو وبناء النفس البشرية فوائد أن «كل مجموعة لاحقة تبنى على كل ما سبقها من مجموعات،

(1) المصدر السابق (2: 85 / 286).
(2) الأساس في التفسير (5: 2728 / 50) بصفة.
وكل سورة تفصل في محرور تبين على التفصيلات السابقة لهذا المحرور، بحيث تعمق المعاني وتؤكدها وتكملها في عمليات متلاحقة، يتكامل بها بنا النفس البشرية لتؤدي دورها مع غيرها في سير منضبط إلى الله عز وجل وصف واحد نمو تحقيق الأهداف" (1).

وبين أن كل سورة تعمل عملها في تطهير النفوس وخلال القلوب مسن الصدأ الذي ران عليها، وعبر عن ذلك قائلة: «لقد جاءت سورة البقرة فربت على التقوى من خلال السياق، واجابت سورة آلل عمران لتفصل أساس التقوى ضمن السياق، واجابت سورة النساء لتفصل في ماهية التقوى ضمن السياق ثم تأتي سورة القرآن، وفي كل سورة يأتي جديد، مما إن بدأ الإنسان يقرأ القرآن حتى يغسل القرآن قبله؛ إذا أدركت هذه النقطة تكون قد أدركت حكمة مسن حكم التكرار والتفصيل في القرآن، وتكون قد عرفت سببًا من أسباب كون القرآن على مثل هذا الترتيب» (2).

وقد ظهر لون من ألوان التفسير عنيفة عنابة شديدة بوحدة مواضيع السورة القرآنية، وعمل على إبرازها مقترحا على الأغراض المتعددة التي تتضمنها وتحديد محرورها، دون تفسير السورة آية آية، ومن أفضل النماذج على ذلك كتاب الشيخ الغزالي " نحو تفسير موضوعي لسورة القرآن الكريم".

وقد ذكر - رحمه الله - في مقدمة الكتاب أنه تأسي بالشيخ محمد عبد الله دراز معتبرًا إياه أول من فسر سورة كاملة تفسيرًا موضوعيًا. وقد بين مراده بالتفسير الموضوعي فقال: «والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضوعي:»

---

(1) المصدر السابق (1428/1) 7228.
(2) المصدر السابق (1427/2) 1268 بنصر. 

179
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

الأخير يتناول الآية أو الطائفة فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحکام. أما الأول فهو يتناول السورة كليها، ويحاول رسم "صورة شخصية" لما تتناول أولاها وأخرى، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كليها، وتجعل أوضاعه مهيأة لآخرها، وآخرها تصديقًا لأولها» (1).

ويلتحق هذا النوع كتابات اعتنت ببيان موضوعات كل سورة وأهدافها إجمالاً مع محاولة الربط بينها بإطار كلي (2)، مثل كتاب "النظم الفني في القرآن" لعبد المالك الصعدي، و "إيجاز البيان في سور القرآن" محمد علي الصصابي، و "أهداف كل سورة ومقاصدها" لعبد الله شحاته.

أو كتابات اكتفت بدراسة الأغراض المحورية لبعض السور ككتاب "الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية" لرفعت فوزي عبد المطلب، حيث درس فيه سورة مريم، وطه، والأبياء، والحج، والنسور، والشعراء، والقصص، والأحزاب، ويس، والصافات، وص، والزمر، وغافر.

كما ظهرت مجموعة من الدراسات القرآنية التي تفسر سورًا قرآنية معينة وتستحضير وحدة نسقها وتعاقب قضاياها الكبرى، ومن أبرزها كتاب الشيخ عبد الرحمن حسن حسن الله بحث في تفسير سورة الرعد، وسورة فاطر، وكتب د. حسن محمد باحثًا "تأملات في سورة المائدة" "تأملات في سورة آل عمران "تأملات في سورة الإسراء" وغيرها... حيث نص على أن هدفها هو...

(2) ومن أواخر الكتب التي سارت على هذا النهج "نظرة العقلان" في أغراض القرآن "للشيخ محمد ابنا كمال الخطيب، طب المطبعة المصرية دمشق سنة 1365هـ، ولكن لم أقف عليه.

180
"نبيين مظاهر إعجاز السورة الكرامة، ونبيين الروابط الظاهرة والخفيفة بين موضوعاتها وآياتها وأجزاء الآية الكرامة الواحدة" (1)، وهذا النمط هو من التفسير التحليلي لا من التفسير الموضوعي.

وبقى أن أشير إلى أن التفسير الموضوعي ينصرف إذا أطلق إلى دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم وذلك بجمع الآيات المتعلقة به لفظًا أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية (2) ويدرج فيه طائفة من الكاتبين النمط التفسيري المقدم الذكر، والذي يقوم على تفسير السورة إجمالاً ويكتفي بعرض مضمونها بشكل بين التحقيق ونلاحظ الهدف الذي تلقي عليه آياتها، ولكن وأثر - للتميز - أن أطلق على هذا اللون "التفسير الشعوي للسورة".

(1) تأملات في سورة المائدة (7).
(2) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (16 و 27) وننظر : مقدمات في التفسير الموضوعي محمد باقر الصاد (17) دار التوجيه الإسلامي، 1980 م.
المبحث الخامس

فوائد وحدة النسق في تفسير السورة القرآنية

إن إدراك وحدة نسق السورة القرآنية والكشف عن النحو الذي تدور عليه جميع مواضيعها وإبراز الروابط التي تربط بين أجزاءها من أهم العموم المساسة على تفهم معاني آياتها واستغلال الدلائل المكونة في طياتها.

وقد تبناه الإمام الشافعي إلى ذلك حيث قرر أنه لا يتعين للمتفهم عن استدعاء جميع أجزاء السورة بالنظر باعتبارها كلاً واحدًا من جهة النظم.

كما استشعر البقاعي فائدة النظر الشمولي إلى السورة ومعرفة مقصودها وقرر في كتابه "مصاعد النظر" تفسير كل آية من تلك السورة. ومنفعته النبيار في علم التفسير، فإنه ينشر التسهيل له التفسير. ونوعه التفسير. وربطه أولاه فيتشغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له من حيث أنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً.

ومن يتأمل التفسير الذي سارت على نهج لا يلاحظ وحدة السورة ويركز بينها وبين التفسير الذي لا يلاحظها يرى أن ذلك يسري، فتفسير الآيات ببناء على معرفة موقعها من مقصود السورة العام يكون أدق وأعمق، فلا تبدو موضوعات السورة آشنة أفرقة وأجزاء مبتدأ، وإنما تبدو متسقة المعاني متصلة المقصد، كفروع وأغصان متشارك تتفعر عن جذع واحد. ومن هنا

(1) المواقفات (3/111).
(2) مصاعد النظر (1/155).

182
يكون بيان المفسر للموضوعات الجزئية في ضوء الغرض الأساسي للسورة، ويوجه تفسيرها بما يلبي الهدف المجتمعي الذي يتحلى به.

أما أخذ السورة آية آية وتفسيرها على أنها منفصلة دون النظر إلى السلوك العام الذي تنظم فيه حبات عقدها فإنه يفتقر إلى المفسر إدراك جملة من هدفات القرآن وطائفة وظاهر إعجازه، ومن هنا التفت بعض المشتغلين بالتفسير والدراسات القرآنية من المعاصرين إلى ملاحظة هدف السورة واستلهام روحها الخاصة في تفسير أجزائها.


وقوله تعالى في يس: "أَمْ كُنْتُمْ لَا يَجِفُونَ [الأبوين: 32] مَمْثَلًا تَنْهَوْهَا وَيَكْشِفُ لَكُمْ غَامِضَ مَعْنَاهَا" (1). ولا غور، فالناسبية هي المصححة لنظام

(1) نظم الدور (١٢ /١٣٠ -١٤٠).
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

الكلام (1) ومعرفة وجه الصلة بين الآية وسابقها، وإدراك موقعها من السياق العام للسورة يهدي إلى الصواب في تفسيرها، ويعين المفسر على ترجيح بعض ما تحمله الآية من معان إذا كان أعلى بالنظام وأنسب للمقصود.

ومن أمثلة ذلك قول محمد عبد الله دراز في دراسته لنسق سورة البقرة: «من جمهور المفسرين على أن قوله تعالى: [أولئك من هدى] وقوله [أولئك الذين أشترأوا الأصلنة باللهدين]» (1) مشار به إلى أقرب الطائفتين في الذكر، وهم المتفقون، ولكن المروي عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم أنه راجع إلى النصارى مطلاعًا. وهذا الذي قالنا عليه لأنه أعد في المعين وفي النظم... وأما في النظم فأننا نتناوله للطائفتين، مبهم حسن المقابلة بين الإشارة في قوله تعالى: [أولئك من هدى] وقاله [أولئك الذين أشترأوا الأصلنة باللهدين]. ثم به يجامع الصنع في تفريق الأقسام ثم جمعها، ثم تفريقها ثم جمعها. فقد رأيته يفرق الطائفتين في أوصافها الخاصة ثم يجمعها في هذا الوصف المشترك، وستراه يعود إلى تفريقهما في ضرب الأمثال ثم يجمعهما مرة أخرى مع سائر العلم في النساء الآتي: [بینتها النائم] أعْنَى [النَّامِ] (البقرة: 21) (2).

كما أن مراعاة النسق العام للسورة يعطيَا معان أخرى للأيات بشكل

(1) النبران في علوم القرآن (1/34).
(2) البقرة ، الآية : 16.
(3) النبي العظيم (168 هامش 1)، وانظر كذلك تفسيره للمثل (168 – 169).

184
ملحة معهد الإمام الشافعي للدراسات القرآنية
العدد الثالث (جمادى الآخرة 1428هـ)

إلى موقع الآية في بنائها الكلي استنفدته معيينٌ آخر، وهذا دليلٌ من دلائل
عظمة القرآن واتساع مدلولاته، ومن أمثلة ذلك ما بينه سعيد حَرَّي في تفسير

يقول رحمه الله: «...وأما النهي عن إهلاك النفس: فإذا نظرنا إلى
النص مجردٌ كان له معنى، وإذا نظرنا إليه من خلال الآية التي هو فيها أعطانا
معنى آخر، وإذا نظرنا إليه أنه جزءٌ من السياق أعطانا معنى جديدًا. وكـ
هذه المعاني مرادة، وكلها قد ذكرها أئمة التفسير عند شرح الآية، فإذا نظرنا
إلى النص مجردِ فهمنا منه أنه فهى عن قئلنا أنفسنا. أي لا تقبلوا أنفسكم
بأيديكم، كما يقال أهل الكثا فلان نفسه بيده: إذا تسبب في هلاكها ... ».

وأنا نظرنا إلى هذا النهي ووروده بعد الأمر بالإنفاق فهمنا منه أنه فهى
عن ترك الإنفاق في سبيل الله؛ لأنه سبب لإهلاكنا، وقد ذكر ما أخرجـه
البحاري عن حديث رضي الله عنه في الآية قال: «نزلت في النفقه»(1).

وأورد أقوالاً أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك
وعبيد بن جبير والحسن البصري رضيهم الله تؤيد ذلك، ثم عقبها بقوله:
«إذا نظرنا إلى هذا النهي من خلال وروده بعد آيات التقال فهمنا منه أنه
فهى عن ترك الجهاد»، وأورد في ذلك حديثًا لأبي أيوب الأنصاري رضي الله
عنده يؤيد ذلك،(2) ثم قال: «وقد لاحظنا أن هذه الأتجاهات الثلاثة الرئيـسة في

(1) الأسـاس في التفسير (1/ 447 / 444) بصرف.
(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة، رقم 540 [فتح الباري ج/38/33].
(3) الأسـاس في التفسير (1/ 447 / 444) بصرف.
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

فهم هذا النص، سببه ملاحظة النص مجرد، أو السياق القريب، أو السياق العام، وهذا قد يكون أبرز مثال من خلال كلام ألمع التفسير لما حاولنا إيضاره سابقاً من أن هذا القرآن لا تتناهي معانه، فمن خلال المعنى المجرد ومن خلال الساق القريب والسياق العام والوحدة القرآنية، ومن خلال عبارة النص، ومن خلال إشارة النص، تتولد معان لا تتناهي، وكل يأخذ من كتاب الله على قدر ما قسمه الله له، وهذه المعاني كلها حق ... »

وإلى جانب ذلك يهدى استحضار وحدة نسق السنة إلى كثير من الحكم والدفائن المعوية واللطائف التربوية التي تحلي هداب القرون وتحرز إعجازه، وهذا ما أشار إليه الرازي بقوله: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط».

ومن فوائد معرفة مقصود السورة ولح بنها المعنوية العام أنها توقف المتدير على القوي من المناسبات الجزئية بين آحاد الآيات. فكثيرًا ما كان المفسرون الذين عنوا بذلك يحاولون الربط بين بعض الآيات غافلين عن نظام السورة المعنوية فلا تظهر لهم وجهة قرية للمناسبة، وقد تنهي البقاعي بفضل قاعدة شيخه المشهدي إلى أن معرفة الغرض الذي سيقت السورة لأجله هو السبيل إلى إدراك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية، وأن «من حقق المقصود منها عرف تناسب آية وقصصها وجميع أجزائها».

(1) المصدر السابق (1/367)، وراجع (2/1136، 1138، 448، 5/1367).
(2) المصدر السابق (1/23).
(3) انظر نظام الدور (1/17، 18).
(4) مصاعد النظر (1/149).

186
لجمال المعاني الدقيقة والTCHA الصعبة

وفي تلك النتائج، من خلال القياس الرئيسي، فإن النقوش والنصوص المتواجدة في السورة كانت تسمى
معاني سورة البقرة - "أن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقتضي
بأن يكون هذا النحو من الدروس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم إعتبار إلى
بحث في الصلات المتواجدة بين كل جزء جزء منه - وهي تلك النصات
المختلفة في مثاني الآيات ومطلقها ومقاطعها- إلا بعد أن يحكم النظر في السورة
كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معالها له على السير

المبتين لعرض دراز معاني سورة البقرة التي جعلها ضوحاً لهذا المنهج
جد بعض الآراء الطريقة التي خالف فيها جمهور المفسرين بباء على مقتضيات
نظم السورة ووحدة بنائها المعنوي، ومن أثبات ذلك قوله في تفسير قوله
تعصَّل أي: (وَلَا يَنفخُنْ مَعْنُوَاتُكُمْ وَيَذْرُونَ أَزْوَاجَكُنَّ وَقَيَّمُواْ أَنْ أَزْوَاجَكُنَّ مَنْ تَعَدُّوا إِلَى
الْحَوْلِ عَيْبًا إِلَّا عَيْبًا) [القرآن: 4:243]. واجندي في الحرب تشغله - على الأقل
مختصراً: محاولة على نفسه وعلى المجاهدين معه من أخطر الموت أو الهزيمة،
ومحاولة على أهله من الضياع والعُبَّة لو قتل ... لذلك انطلاق البيان الـ:رث

187

(1) نظم الدور (١/١٤٧).
(2) النبي العليم (١٥٦).
وحدة السبق في السورة القرآنية: طرقها وطرق دراستها

رشيد الحماودي

يطرد عن قلب كلنا المخافين، أما أهلها فقد وصى الله لل الزوجة إذا مات زوجها بان تمنع حوَّلًا كاملاً في بيتها، وكذلك مطلقته سينتقلها حي في المعه لا يُنمي (1)، فكانت جعل هذه الآيات موصولة الغرٍّ بشأن الجهاد، وليست انتقلنا كلًّا إلى قضايا الأسرة، ومن ثم رأى أن هذه الآية تقرر حقًا غيير منسوخ لزوجات المجاهدين، وأن سياق الآيات عند التأمل يكون بذل ذلك خلاصًا لما ذهب إليه معظم العلماء من كُلها آية منسوخة بقوله تعالى: "وَلَأَلْقِ لِمَنْ كُتِبَ لَهُ مَنْ شَاء فِي نَفْسِهِ مَنْ هُدِيَ اللَّهُ فَإِنا لَهُمْ لَا كُفُورٌ وَلَا نَذَابٌ" (القرآن: 24: 4)، بل إنه خالف بذلك من قال بإحكامها (2) لكونه خص المناع زوجات من قتلوا في الجهاد، وقد عبر عن ذلك قائلًا: «... ووافق أن كلا القولين مبني على أن آية الحول يسري حكمها على الأزواج عامة... ولكن السياق الحكم أُوْحِي إليها هذا المعنى الجديد: وهو أن ترص الحول الكامل كان خصوصية فضلت بما زوجات المجاهدين على زوجات القاعددين، والله أعلم» (3).

ومع أن أي أميل إلى القول بإحكام هذه الآية، إلا أنه لا أرى أهلها خاصة بالمجاهدين، إذ دلالة السياق ليست من القوة لنحصر عموم الآية، لا سيما وأنها استهالت كالآية الأخرى بقوله تعالى: "وَلَأَلْقِ لِمَنْ كُتِبَ لَهُ مَنْ هُدِيَ اللَّهُ فَإِنا لَهُمْ لَا كُفُورٌ وَلَا نَذَابٌ"، ولو كان المراد بما المجاهدين فقط لكان الأوفق أن يكون التعبير: "وَذَٰلِكَ عِلْيَ الْعُلَمَ"، والله أعلم.

ومرْت هذا النظير أنه بين أن لا يشترط أن يكون ثمة تناسب بين...
كل آية وقريبتها، بل إن من منهج النظم القرآني أنه قد يتم طائفة من المعاني ثم ينتقل إلى طائفة أخرى تقابلها، فهيح ي حـ يـم النـحـاـوـر بـين الـطـائـفـتـين مـسـتـدـعـيًا لـحـــسـن المـقـاـبـلـة بـين الـأوـاـئـل مـن كـل مـنـهـا وـبـين الـأوـاـخـر كـذـاك، لا بـين الـأوـل مـن هـذـه وـالآخـر مـن تـلـك (1).

فالسورة القرآنية مبتزة حلقات مترابطة مشمولة بحلقة أكبر منها، وهي داخلة فيها متعلقة بما، ولا يتحتم أن تكون كل حلقة موجودة على مسار خط السورة مرتبطة بالحلقة التي قبلها مباشرة، بل قد تكون متصلة بالحلقة الكبرى التي تمثل مقصود السورة الرئيس، أو متصلة بحلقة دوحا قد سبقت وليست هي الحلقة المباشرة في تسلسل رصف الحلقات (2).

ومن فوائد الاستيصال مقصود السورة القرآنية استجاء: أسار تكرار القصص واختلاف الآيات المشابهة في التعبير. وقد نبه البقاعي إلى ذلك فقال:

«وـهـ يـتـبـين لـك أـسـاـر الـقـصـص المكررات، وـأـن كـل سـورة أـعـيدت فـيـها قـصـة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت به في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظم بالتأخير والتقدم والإتداع والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة» (3).

فلاقصة في كتاب الله إنـنـمـا تـسـاـق تـنفـيد عـبـرـة مـن العـبـر، وـلـكـل قـصـة عـبـر

(1) المصدر السابق (1/164).
(2) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن حسن حكمة الميداني (ص 28). دار القلم، دمشق 989ـ.
(3) نظم الدور (1/1/14).
وحدة اللفظ في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

رشيد الحماوي

ودروس، ودلائل كثيرة، والقرآن يورد في كل موضوع مشاهد من الفصصة
تناسب الموضوع الذي جاءت فيه، ويشهد للمقصود الذي تهدف إليه سوابقها
ولواحقها من آيات السورة.

فكل سورة لها هدف خاص وشخصية متميزة، وجمعها ما تشمله مسن
معان جزءية ومحاور صغيرة تتجه لخدمة هدف السورة وتتآثر في صياغتها
التعبيرية بروحها، ومن ثم فإن أي نص من نصوص القرآن - ولو بدائشامًا-
يستطيع بحور السورة التي يرد فيها وتكون له حينها ملامح خاصة بتميزه عن
نظرائه.

وقد ضرب الباقعي مثالاً لذلك فقال: «ولأجل اختلف مقصود السور
تنغير نظوم الفصول وألفاظها حسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المصدد.
مثاله: مقصود سورة آل عمران التوحيد، ومقصود سورة مريم عليها السلام
شمول الرحمة. فبدأت آل عمران بالتوجيد، وانتهت بما بيئ عليه من الصبر وما
معه مما أعظمه التقوى، وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على السمات الجامع
لجميع الصفات فيها تكريرًا لم يكرر في مريم، فقال في قصة زكريا عليه السلام:
»كد़نْكَ اللَّهُ يَفْصِلُ مَا يَشَاءُ [آل عمران: 40]. وقال في مريم:
رُبِّي عَلَى هَذَا الْمَيْكَانَ وَقَدْ فَرَّقْتُكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تُشْفِكَ سَيِّئَاتِكَ [مريم: 9]. وقال في آل عمران
في قصة مريم عليها السلام: »إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَتَّبِعِيَ إِنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ بِهِمَا نَطِيعًا [آل عمران: 4]. وفي مريم:
قَالَتْ إِنِّي أُرْوَى بِثَلَاثِ مِئَاتٍ إِنَّكَ لَكَ تَضَلَّلُوا قَالَ إِنْ أَنْتُمُ رَبُّي لَأَهْبُبُ لَكَ عَلَمًا
مَسِيحِيَاً [۶۰] قَالَتْ أَنَا لَكَ زَيْكُ بِهِمَا وَلَمْ يَسَّمَى بَيْنَ الْأَيَّامِ`۶۱ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ
قَالَ رَبِّي هُوَ عَلَى هَذَا الْمَيْكَانَ [مريم: 18:121]. وغير ذلك بعد أن افتتح السورة بذكر

190
الرحمة لعبد من خُلَّص عباده، وختتمها بأن كل من كان على وجه في الخضوع لله يجعل له وداً، وأنه سيحانه يسر هذا الذكر بلسان أحسن الناس خلقًا وخلقًا، وأجعلهم كلامًا وأحلاتهم نطقًا. وقرر الوصف بالرحمن وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنين في أثناء السورة تكريرًا يلائم مقصودها وثبت قاعدتا وعمودها» (1).

ولكون القصص المكررة في القرآن مدخلاً يلجه الطاعونون في إعجازه فإن المعاصرين المعاصرين اتفقوا إلى هذا الملحوظ، واستمروا وحدة نسق السورة في توجيه تلك القصص ومنهم: سيد قطب، محمد عزة دروزة، وسعيد حسوى وغيرهم، ويندو نضح الفكرة عند هذا الأخير بشكل كبير، إذ لا يتفك في كل موضع وردت فيه قصة مكررة عن بيان كونها جائت على ذلك النحو لتنسجم مع روح السورة ومقصودها، فقول مثلاً: «إن قصة آدم وردت في سورة البقرة وردت هنا (أي في الأعراف) مرة ثانية، وقصة بني إسرائيل وردت في سورة البقرة وردت هنا مرة ثانية، ولكنهما تردان ضمن السياق الخاص لسورة الأعراف، وما يخدم هذا السياق. وهناك وردتا ضمن السياق الخاص لسورة البقرة مما يخدم ذلك...فمثلاً قصة آدم في سورة البقرة تخدم سياقاتها الخاص وهو الأمر (عبيدوا)، فهي نموذج الأخراج عن الأمر وما يتزد عليه، وكيف ينبغي أن يفعل الإنسان لتنحصر من خلافته. أما قصة آدم في سورة الأعراف فهي تخدم موضوع الابتعاب وما يتزد عليه، والكفر وما يتزد عليه» (2).

---
(1) مصاعد النظر (152/153).
(2) الأساس في التفسير (4/1881).
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

ومن فوائد مراعاة نسق السورة وطباعها الخاص الوقوف على الأسرار

البيانية المنطوية تحت الفروق التعبيرية في السور القرآنية; ذلك أن الكلمات
ومفردات التركيب تتجه برمتها خدمة مقصود السورة وتتجاوز في صياغتها
وسبيكها بروحها، ومن ثم يجد المعنى الواحد يرد في أكثر من سورة ولكن يعبر
 عنه في كل واحدة منها بما يلائم سياقها ويناسب مقصودها وجوها الخاص،
ومن هنا كان سر اختلاف الآيات المشابهة في ألفاظها واختصاص كل واحدة
بموضوعها.

ومن أمثلة ذلك توجيه أبي جعفر بن الزبير للفرق التعبيري بين قولهه
تعالى: "إن تَبْدُوا أَحَيَّاً أَوْ مُحْقَقَةً أَوْ تُغَعَوْنَ مَعْجَمًا فَإِنْ ثُمَّ عَفُوْاْ قَدْرِيًا." [النساء: 149]
وقوله تعالى: "إِنْ بَدَّلُوا مَقَدَّرَيْنِ أَوْ تُغَعَوْنَ مَعْجَمًا فَإِنْ ثُمَّ عَفُوْاْ قَدْرِيًا." [الإسراء: 54]

حيث يعزو التعبير بإبادة الخبر في آية سورة النساء إلى مناسبة الطابع العام
الذي يغلب عليها، فقال: "والمجرب عن الأول أن قوله مقصود به خصوص
طرق الخبر وعمل الإسراء، جريًا على ما دارت عليه سورة النساء وترد فيها من
إصلاح ذات بين والندب إلى العفو والتجاوز عن السيناء... ومن هنا لم
يتعرض فيها لأحكام الطلاق، وإن كانت السورة متبنية على أحكام النساء،
لكن خص من ذلك ما فيه التأليف والإصلاح وما يرجع إلى ذلك، ولم يرد
فيها من أحكام الطلاق إلا ما أشار إليه قوله تعالى: "وَإِنْ يَبْعَثَ وَيْلُواْ لَهُمُ اللَّهُ مِنْ نَسِيَةٍ مَّهِينَةٍ". فذكر هذا القدر عند استدعاء معين الكلام وتمام المقصود به إليه

(1) ينظر كتاب المشابه الفظفي في القرآن ومسائل توجيهه عند أبي جعفر بن السيريف الغرناطي
للمباحث (102 – 110).
بأوجز نظيف، ومتى يؤمن الفريقين، ولم يذكر فيها اللعان ولا الظهار ولا الخلع ولا طلاق الثلاث، بل ذكر فيها ما استصحب العشرة إلى التوارث، فلما كان مبين السورة على هذا ناسب طرف الخبر غير مشار إلى ضده إلا يالعفو كما وقع بالمكلف فيه فقال تعالى: «إن نُودوا خيراً أو عفواً أو تخفيفاً سَوَّى» فنسب بهذا الخصوص أي خصوص ما تذكر في السورة مما ذكر معنى العفو وما يجوزه» (1).

وثقة فوائد أخرى عامة لدراسة نسق السورة القرآنية كما أكد إعجاز القرآن في نظمه وكلمه، ودحض شبهة افتراق القرآن المكية والمدنى، إذ نجد - كما تقدم لنا - آيات مدنية في سورة مكية والعكس دون أن يظهر في نسب معانيها أي تنافر أو اختلال (2). غير أن أبرز مراقباً هو التأسيس لنمط تفسيري يقرب للناس مقاصد القرآن وفادته.

---

(1) ملاك الدؤول (1/366 - 367).
(2) انظر الأساس في التفسير (1/26 - 27).
المبحث السادس

مسائل الكشف عن وحدة نسق السورة القرآنية

إن تحليل بناء السورة القرآنية وإبراز اتساق عناصرها وتلاحم أجزائها ينطلق من الكشف عن مقصود السورة أو المحور الفكري الذي تسير عليه سائر تفريعات معانيها، ولا ريب فيه أنه أمر دقيق يحتاج إلى إجادة النظر في أجزاء السورة وإمكان الفكر في تدير معانيها المتصلة مع القدرة الفائقة على النظائر الشمولي إلى هيكلها العام والتمييز بين الأغراض الرئيسة والمعنى الوارد على سبيل الاستطراد والتنسيم.

ومن المسائل التي تبين على إبراز الغرض المحوري في السورة:

1- تدبر فوائض السور وحوائجها: ففائقة السورة تشير إلى أهم القضايا التي تتعلق بها الآيات بعد ذلك، وتأتي خاصة النسقية لتعود للذكائر بإحدى تلك القضايا وتأكيدا وترسيخا، ولذلك اتبعت العلماء بتناسب فوائض السور وحوائجها، حين إن السبوع مفتى في ذلك كتابه مسما "مراصد المطلع في تناسب المقاطع والمطلع "(1). كما اعتنوا ببيان مناسبة مطلع السورة للموضوع الذي يغلب على آفاقا تحت مسمى براءة الاستهلاك (2)، ولا ينبغي في الحقيقة أن نقف عند هذا الحد، بل بد من استنمارها في كشف الغرض المحوري الذي تلقي فيه جميع مواضيع السورة. وقد تنبه د. ر. د. رد، إلى موقع مطلع

(1) صدر بتحقيق د. محمد بن عمر بن سلمان بارمول، مكتبة الملكية ط 1، مكة المكرمة، 1423 م.

(2) انظر كتاب "براءة الاستهلاك في الفصل في الفصائد والسورة"، محمد بدري عبد الجليل.
السورة ونحوها من بناء السورة فقال: «ولقد وضح لنا أبا حارثة أن هناك تخطيطًا حقيقيةً واضحًا محددةً، يتكون من دجاجة ووضوع وخاءة، فتوفر الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها الرئيسية، ثم يمنع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتدخل فيه جزء مع جزء آخر، وإما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الدياحة».

وبناء مثال دلالة فواحي السورة وأحيائها على غرضها المحوري ما بينه عبد الرحمن المباني في حديثه عن سورة الرعد حيث قال: «وموضوع سورة الرعد تحديد في الآية الأولى منها: «إِنَّ لَكُمْ فِي الْكِتَابِ مِنْذَنَئِينَ، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تُؤْمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» ونذكر أكثر الناس لا يؤمنون، وتتضمن هذه الآية الإشاع بالكلام على عناصر ثلاثية، وهي: (1) رسالة الحق (2) رسول الصدق (3) مُرسل إليهم أكثرهم لا يؤمنون. أما الكلام على الرسالة فيستديع إقامة الدليل على أسسها، ومن أجل ذلك جاءت مجموعة من الآيات في السورة لإقامة الأدلة على وجود الله عز وجل وعظيم صفاته. وما الكلام على الرسول والرسول إليهم فيستديع بيان حال الصراخ الذي تم بينه وبينهم، ويتضمن ذلك عرض أقوالهم وحججهم في تكيذيهم بالرسول، وكيف عالج الرسول صلى الله عليه وسلم إصلاحهم ضمن التعليمات والبيانات الربانية التي أنزلت عليه، كما يتضمن عرض تربية الله لرسوله أمام ما لاقى من المكذبين.

(1) مدخل إلى القرآن الكريم (91)، دار القلم، الكويت.
(2) قواعد التدبر الأصلي (32).

195
ويعتبر سعيد حوي في تفسيره لسورة يونس المناسبة بين مقدمته

السورة وممضوؤها فيقول: "تبدأ السورة بآية تدل على مضمن الورقة وهي

فأول الآية الأولى في السورة تذكر حكمة الكتاب،

وذلك يتعلق أنه لا يلمّ فيه، وأنه هدى يجب أن يهدي به الناس، فهذه الآية

التي هي مقدمة السورة تشير إلى مضموؤها، كما أعدا في ملأها يتجمل ما يسمى

في علم البلاغة (سرة الاستهلال) على أعظمه وأروعه، وكتابه المشلل

الأعلى، وتنزع كتابه وكلامه أن يشبه كلام البشر" (1).

ويبين سيد في الفلسفة بين مطلع سورة يونس وهاجمته

فيقول: "والموثوق في سياق السورة يوجد بين مطلعها وهاجمتها، وفيه في

المطلع قوله تعالى: {الَّذِينَ أَنزَلَ اللَّهُ بِهِمُ الْكِتَابَ}، {أَفْتَرَىَ الَّذِينَ عَرَضُوا عَجْبَانَا}.

{يَعْقُوبُ وَبَنَاهَا عَمُّوُانَ} {فَهُدِيَهَا ضَيْقًا} {قَدْ صَنَعْنَا} {هَذَا الْكَسْرَهُ} {مِنْ خَيْرٍ} {بِنَتَّهَا وَهُوَ خَيْرُ الْكِتَابِ} {يُوسُفُ: 2-10 وَبَيْنَهَا} {فَالْحَدِيثُ عَنْ فَضْيَةِ الرَّحْلِ} {الَّذِي} {مَطَأَتْ} {هُوَ مَطَأُ الْحَقِيقَةِ} {بِنَتَّهَا}...

(2) فالحديث عن قضية الراحلة وهو المطلع وهو

والذي جاء بين مطلع وهاجمته، كما أنه هو الموضوع المتمبط المنصف بين المطلع وهاجمته" (2).

وفي تفسير سورة القصص يستكشف سعيد حوي في مطلع السورة وهاجمته

فيقول تحت عنوان (كلمة في السياق): "نلاحظ أنه قد ورد

في الفصل الأول من السورة على لسان موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّي أَنْتَ أَعْمَضُ}.

(1) الأساد في التفسير (2416 / 5).

(2) في خلال القرآن (1745 / 3)، وما بعدها، ويبين كذلك الأساد في التفسير (1609 / 10، 2010).
ومن هذه الأمثلة يبين أن مطلع السورة يأتي ليُبين على معرفة هدف السورة والقضايا التي تتعلق بها، وتوزع مقاطع السورة وفق الخطوط التي رسمتها بدائتها، ثم تأتي الخاتمة لتساعد على توضيح تلك المقاطع في نفس القارئ المتذرع وتدكِّره بما بعد أن جال في رحاب السورة ومعانيها المتنوعة.

2- تقسيم السورة إلى أقسام حسب مضمونها: فالسورة تتكون من جملة من الآيات، وهي سوى المفصل متعددة الموضوعات، ويتضح على المتذرع ألا يشت تنظره مع تقاريعها وتشعبها، بل عليه أن يقسم السورة إلى مقاطع بحيث يكون كل مقطع متكونًا من مجموعة من الآيات التي تدور حول موضوع واحد، ثم يحاول البحث عن المواضيع التي تشمل جملة من تلك المقاطع مميزًا بين ما هو محوري فيها وما هو وارد على سبيل التكمل والتفرع، للتحصيل لديه أقسام السورة التي تتمثل القضايا الكبرى التي تعالجها، ثم يحاول اقتناص السباق المعنوي الدقيق الذي يجمع بينها ويكون مثابة الجذب الذي تفرع عنه سائر معاني آيات السورة. وقد يكتفي ببيان تلك القضايا والربط بينها في شكل بين التحام أجزاء السورة.

ومن أحسن من سار على هذه الطريقة سعيد حوى في تفسيره لسورة البقرة حيث قال: "رأينا أن سورة البقرة تتألف من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة."
وحدة السياق في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

رشيد الحمداوي

أما المقدمة فهي الآيات العشرة الأولى. وفيها أقسام الناس حسب التقسيم الرباني الإسلامي: متقين، وكافرين، ومنافقين، وصفة كل منهم، وأما القسم الأول فمن الآية (21) إلى نهاية الآية (173)، وفيها دعوة عامة إلى الناس جميعًا كي يسلكوا الطريق الموصل إلى تقوى الله، وتركوا كل ما ينافي ذلك.

وأما القسم الثاني فمن الآية (168) إلى نهاية الآية (207)، وهو استمرار للقسم الأول في كونه دلالة على التقوى وتفصيلًا في شأنا وتبينًا لأركانها وشروطها وما يدخل فيها، وموقف الناس منها، وغير ذلك من معان.

وأما القسم الثالث فمن الآية (208) إلى نهاية الآية (284)، وفيه دعوة إلى الدخول في الإسلام كله، وتبين لكثير من شرائع الإسلام وتبين ما يلزم لإقامة الإسلام كله، وفيه التوجهات الرئيسية في قضايا المال، وفيه الملامح الرئيسية لنظام الاقتصاد في الإسلام النظام القائم على الصدقات والظام غير الربوي، والنظام القائم على التعامل المضبوط مع تقدم الملكية لله.

ثم تأتي الخاتمة التي يدخل فيها هذا كله؛ إذ مرجع هذا كله إلى الإيمان والسعي والطاعة والثواب من التقصير، وهذا الذي عرضته الآية الأولى في الخاتمة، ومرجع ما مر كله يعود إلى التكلف المستطاع للإنسان، وأن هذا التكلف يشبه يكون الجزاء والعقاب، وهذا الذي ذكره الآية الثانية من الخاتمة. وهذا الذي قبله لا يتأتي إلا بعبودية كاملة وتوافق من الله، وهذا الذي علمتنا إياه الدعوات (1).

ويمكن الاستناد في الوقوف على أجزاء السورة ومقاطعها بما تنبه إليه سعيد حوالي في بعض السور القرآنية من تكرر كلمة معينة في مستهل جملة مسن

(1) الأساس في التفسير (1673-274).
الآيات في مواضع مفترضة من السورة، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير سورة الأنعام: "من اللهم أن الآية الأولى في سورة الأنعام مبدوة بـ "فَاتَّقِ نَفْسَكَ " ثم تأتي الآية التالية مبدوة بقوله تعالى: "فَوَأَوْجَرْتُكَ " الآية الثالثة المبدوة بقوله تعالى: "فَوَاتَّقِ نَفْسَكَ " ثم تكرر كلمة "فَوَأَوْجَرْتُكَ " في السورة كثيراً كما رآينا، فكأنها معطوية على "فَوَأَوْجَرْتُكَ " الأولى في السورة، وإن من العلامات التي تحدد بدايات وفواصل بعض المقاطع في السورة أن نرى "فَوَأَوْجَرْتُكَ "، فقد اعتدنا في السياق القرآني أن نرى مقاطعاً تشبه بدايته خاتمة، ولذلك نرى أن آخر مقطع في السورة بدايةه "فَوَأَوْجَرْتُكَ " وهو الذي أشار صاحب تفسيره إلى الآية: [141]، فنعلم أنه فيه مبدوة بقوله تعالى: "فَوَأَوْجَرْتُكَ "، وآخر آية فيه مبدوة بقوله تعالى: "فَأَمَنتَ "، وهو الذي جعلنا accompanies الآية: [165] (1). وقد بين سعيد حمو نفسه أن هذا الأمر ليس مقتضياً، وأن العدد في استكشاف مقاطع السورة هو معياني آياماً فقال: "وقد نرى مقاطع ليست مبودة مثل هذا ولا محدودة مثلاً، وقد نرى مقاطع مبودة بذلك وليس محدودة به، ولقد جربنا على أن نعتمد مثل هذه العلامات حيث وجدت وساعد المعنى في تحديد بداية المقاطع أو خاتمها، ولكن السبيسي الأكبر تحدث وجيلان تحدد بهقطع أو القسم بشكل دائم بداية ونهاية هو المعين، وسنرى ذلك واضحًا في السورة." (2).

3- معرفة الفترة الزمنية التي نزلت فيها آيات السورة: ومن خلال ذلك يمكن التعرف على هدف السورة العام أو أغراضها الكبرى التي

---

(1) الأساس في التفسير (١٥٦٧ / ٣) ١٩٦٢.
(2) الأساس في التفسير (١٥٦٧ / ٣) ١٩٦٢.
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

رشيد الحداداوي

تدور عليها.

فمن المعلوم أن السور المكية عرضت أسس العقيدة الإسلامية، وقد توثة تقرير أربع قضايا كبيرة: 1- الإيمان بالله وحده. 2- الإيمان بالبعث بعد الموت. 3- الإيمان بالرسالات السماوية. 4- الدعوة إلى أمهات الأخلاق. فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها هذه القضايا الأربعة مجتمعة أو منفردة.

أما السور المدينة فهي تتوضئ بناء المجتمع الإسلامي على أسس الإيمان والطاعة، وتفصيل التشريع في شؤون الحياة كافية، وحماية الأمة من الأخطار الداخلية والخارجية بفضح اليهود والمنافقين ومحاولة أهل الكتاب المخادعين، ولا تخلو سورة مدنية من هذين المقصدين. ومن هنا يمكن للباحث أن يستدل على مقصود السورة من خلال معرفة زمن نزولها وملاحظة أهداف القسم الذي تنتمي إليه من السور في مجمل آياتها.

وقد مر معنا كيف أن الشاطئي يعتبر يكون سورة "المؤمنين" مكية، وتوصيل بعد استعراض جملة من آياتها إلى أن القضية الغالبة على نسقها هي ذكر إنكار الكفار للنبي. كما ذكر أن سورة الأعوان نزلت في الفترة المكية مبناة لقواعد العقائد وأصول الدين، وألما جاءت مقررة للحق ومنكرة على من كفر بالله واختير من تلقى نفسه ما لا سلطان له عليه وصدق عن سببه.

(1) انظر مباحث في التفسير الموضوعي لمصطلح مسلم (42 - 43) دار القلم، دمشق، 1989.
(2) المواقف (ج 3 / 344).
(3) المصدر السابق (ج 3 / 269).

٢٠٠
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة المقدمة. من فضلك استخدم النص العربي المكتوب بشكل طبيعي.
وحدة السبق في السورة القرآنية: قوائدها وطرق دراستها

منه...»(1) ومن ذلك أيضا قوله في سورة النساء: "ويما كان مقصودها الآتي من علل السورة قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتعاون عدة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء، فسميت سورة النساء لذلك ولأن بالانتهاء فيه تحقُّق العفة والعدل الذي لباب التوحيد"(2).

ووهذا المسالك طريق يُبدع في استكشاف مقصود السورة، غير أن تطبيق البعقلي له على جميع السور لا يخلو في بعضها من شيء من التكلف، فهو في كثير من الأحيان لا يستهدى باسم السورة لمعرفة مقصودها، وإذا يلمس وجه المناسبة بينهما بعد أن يتوصل إليه.

ومن جهة أخرى فإن كثيرًا من السور لها عدة أسماء، جملة منها من تسمية الصحابة والتابعين. وهذه الأسماء ليست كالعناوين التي تدل على مضمن مسمى بشكل إجمالي، وإنما جرت على عادة العرب في أخذ الأسماء.

وقد بين ذلك أبو جعفر بن الزبير حين قال: "والمعاني في كثير من المسميات أحد أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في المسمى من خلق أو صفة شخصية أو تكون فيه أحكام أو أكثر أو أسبي لذكره الراجي للمسمى ويسموه الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة من الشعر بما هو أشهر فيها أو مطلعها إلى أشباه هذا وعلى هذا جرت أسماء سور الكتاب العزيز كسمية سورة البقرة وهذا الاسم لغريب قصة البقرة المذكورة فيها وثواب الحكمة في أمرها وسمية سورة الأعراف بالأعراض لما لم يرد ذكر الأعراض في غيرها، وسمية

(1) مصاعد النظر (27 - 38).
(2) مصاعد النظر (88 - 89).

٢٠٠٢
سورة النساء هذا الاسم لما ترد في بها وكثر من أحكام النساء، وتسمية سورة الأعوان لما ورد فيها من تفصيل أحوالها" (1).

ولذلك أرى أن يكون الاعتماد على الأسماء المألوفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الأسماء التوقيفية لا بد أن تكون متوجية على معان ترمي إليها، غير أن الاسم قد لا تظهر دلالة على مقصود السورة العام بجلاء، إلا إذا أشار المتذربه نظره في السورة وضم إلى دلالة الاسم ما توصل إليه عن طريق المسالك الآنية الذكر.

ومن الأمثلة الجيدة على هذا المسلك ما قال به الدكتور مصطفى مسلم في دراسته لسورة الكهف كنموذج على التفسير الإجمالي الذي يلاحظ الغرض المحوري للسورة (2)؛ فقد لاحظ أن هذه السورة انفردت بأربع قصص لم تنكر في سور أخرى، وهي قصة أهل الكهف، قصة صاحب الجنتين، قصة موسى عليه السلام مع الخضر، قصة ذي القرنين، وقد جاءت تسمية هذه السورة بالكهف في أحاديث مفروعة، منها قوله عليه الصلاة وسلم: «سُنْ خُفِيطَ غُمَرَ آياتٌ منْ أُولَى سُورَ الْكِهْفِ غَمُرُّ مِنْ الدَّجَالِ» (3). وحين تأمل في القصص الأربعة وحدها تشترك في بيان أسباب الفتى الكبرى في الحياة الدنيا، وهي: فتنة السلطان، والمال، العلم، والأسباب المادية. ومن ثم استخلص أن السورة جاءت لتلقى أضواء كاشفة على هذه الفتى، وتكشف حقائقها وتظهر

(1) ملاك التأويل القاطعبذوي الإلحاح والتعمل في توجيه المشاركة النظر من آن التأويل (174 ـ 175)، تحقيق: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1983 م.
(2) وهو يعتبر أحد أنواع التفسير الموضوعي، ولا مشاهاة في الاصطلاح.
(3) صحيح مسلم (67، رقم 1883)
وحدة السباق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراساتها

رشيد الحماوي

حقارة شاهدة، وتعطي المؤمن الموازين التي يميزها بين الحق والأباطيل،
وذلك تكون قراءة هذه السورة عصمةً من جميع الفتن، وفي مقدمتها فتنة
المسيح الديموقراطي.

ثم تأمل في علة تسمية السورة باسم الكهف واستندية وجهة المناسبة بين
اسم السورة وموضوعاتها، فرأى أن اسم الكهف قد احتذر نظرًا إلى المكان
الذي جَلَّا إلَى الفتنة لحمايتهم من الفتنة: 
(۱۰۶) وأَرْزُقْهُم مَا يَمْثُلُونَ إِلَّا إِلَّا اللَّهُ ۚ فَأَوْلَىٰ لِلكَلِبِ يَدْرُسُ لَكُمْ وَرَحْمَةً وَتَعَلِّمُونَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِيَ مَوْقُفًا (الكهف: ۱۰۶) 
ومن تدبر موضوعات السورة واعتبر بخصوصها كانت له كاهل الفتن الحصين
الذي ي الأمري من جميع الفتن، وإذا كان الكهف الذي جَلَّا إلَى الفتنة قد اكتشفته
رعاية الله، فحفظهم الله به من بطش المشركين، فإن الكهف الذي يأتي إليه
قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله - سبحانه- وحفظه وسترها، فلا
تأثر فيه الفتنة المعروضة على قلبه ولو كانت مثل قطع الليل المظلم١.

ويبقى - في خِالِصِّة المطاف - ما توصل إليه المتأمل بعد طول تدبر في
السورة، واستياءً لطرق كشف غرفتها المُحوـري أمرأٌ اجتماعي لا يمكن القطع
به، ولكل بحث أن يبدد السور القرآنية ويفكر في تناصق بناءها وتضافتها،
ويستخرج مقاصدها الكلية ما دام قد استفاغ وسعه واستندل لما أفضله إليه
تأمله، ولا ضير في الاختلاف في هذا، وذلك في نفسه مظهر من مظاهر ثراء
القرآن وكريم عطائه ٢.

١ مباحث في التفسير الموضوعي (١٧۴).
٢٠٠٤
الhaustة

لقد صار الاستبصار بنسق المسرة القرآنية وملاحظة وحدة موضوعها في التفسير أمرًا ضروريًا لمراجعة هدف القران وتحدي مكوناته. وفي سبيل ذلك حاولت أن أبين ما يلي:

١- ظاهرة التناسق الموضوعي خصوصية من خصائص السور القرآنية، وما من سورة إلا ولها هدف محوري تتجه إليه جميع موضوعاتها، وهو من شملة الروح من الجسم، ولنا أن يكون الإنسان لوجود أن برفق القران الكريم والكون العظيم توافقًا بديعًا، فكما أن لا يرى في خلق الرحمن من تفاوت، فإن بجد في كلامه أي اختلاف أو قاففة، وكما أن عناصر الكون متكاملة في تحقيق أداء ما خلقه من أجله، فكذلك آيات القرآن وسورة متكاملة في إبادة الرسائل التي تضمنها، وكما أن الجسم الواحد تتكامل أعضاؤه وتتساوى للقيام بوظائفها، فآيات السورة الواحدة تضافر في مسار واحد لتحقيق مقاصدها. وكما أن في كل جسد حي روحًا تسري فيه لا تدرك إلا بتأثرها، ففي كل سورة روح - خفية - تسري في أجزائها ولا تعرف إلا بتبديها.

٢- إن علمي "المناسبات" و"مناقصات السور" اللذان أبدعهما أئمة التفسير هما الأساس الذي ينبغي أن يرجع إليه الكتابون الذين يعتمدون النمط التفسيري الذي يستلهم الغرض المحوري للسورة، غير أنه لا ينبغي الوقوف عند جهود العلماء المتقدمين في هذا المجال، بل يجب السير به قدمًا نحو تفهم القرآن للناس وتثبيغهم مقاصده على نحو مقبول قريب من أفهامهم.
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

رشيد الحدادوي

ومن ثم لا بد من تخصيص المناسبات بين الآي من الاصطلاحات البلاغية التي تخص طرق الانتقال وأساليب الربط بين الموضوعات المختلفة، كما يجب استجلاوها في ضوء مقصود السورة العام لا يمتعزل عنه.

ومن جهة أخرى ينبغي تصحيح تصور الروابط القائمة بين آيات السورة، فلا يتهم أنه يجب أن تكون لكل آية علاقة معنوية واضحة بسابقتها، وأن كل معيّن يلزم أن يفاضي إلى ما بعددها، والخلاقات المتسلسلة المستقيمة. وإما تكون السورة كحالة كبيرة ترتبط بها بعض الخلفيات، وتكون مناسبة كل مجموعة منها للأخرى من جهة ارتباطها بالأصل لا مسـ
جهة تتأليها في الترتيب.

٣- البحث عن الغرض المحوري الذي تدور في فلكه موضوعات السورة يسير على الخطوات التالية:

- تحديد الفترة الزمنية التي نزلت فيها السورة والطابع الذي يغلب عليها: الملكي أو المدني، وتتبع أسباب نزول جملة من آياتها.
- تتدرّب فواتح السورة وخواصها، والتناس ما تضمنته من معان في سائر أجزاء السورة وذلك يتتبع جميع آياتها.
- استعراض أجزاء السورة وتقييم آياتها إلى مقاطع وأقسام حسب المعاني الجزئية والمحور الصغير الذي تتناولها.
- التمييز بين الموضوعات الرئيسية والمعاني التي أثير إليها السياق لداع من الدواعي كالتي وردت على سبيل التمثيل أو التفريع أو التنظير أو غيرها.

٢٠٦
المجلة المعهد الإثماني للأبحاث القرآنية
العدد الثالث (جمادي الآخرة 1428هـ)

- الاستثناء بما ورد في بعض التفسير من مناسبات ترتبط بين بعض مقطوعة السورة.

- محاولة اقتناص الروابط المعنوية التي تصل بين المعاني الجزيئة للخولص إلى أهم القضايا التي تعالجها السورة. ومن ثم اكتشاف الجذور المشتركة التي تنفتح عليه. ويبقى أن التعبير عنه قد يكون عامًا بحيث يستطيع شمول سائر تلك الموضوعات، وقد يكتفي بعرض تلك القضايا وبيان التحاما.

- إن ملاحظة وحدة بناء موضوعات السور القرآنية هو المصلحة الذي يسترضى به المفسر المعاصر للإفادة مما تتضمنه تفسير الأئمة المتقدمين من الروايات المأثورة والأقوال المختلفة، والتفسيرات الإعرابية والم دقائق البلاغية والأحكام الفقهية والمسائل العقدية ليبتني منها ما يوافق مقصود السورة ويأخذ بيد المسلم نحو فهم مراد الله تعالى وملامسة هدائه في كلامه.

وهذا لا يعني إحلال كتب التفسير المتقدمة ومناهجها المعددة أو إغفال ما تضمته من ثروة قرآنية عظيمة، فهي بأجمعها مناهج عذبة للمشاريين على اختلاف أصنافهم ومطالبهم.

- يمكن الإفادة من الوقوف على الغرض المخوري للسورة في شكلين من أشكال التفسير:

آ - التفسير الشمولي للسورة بعرض قضاياها الكبرى وبيان المعاني الإجمالية لمقاطعها والربط بينها وتحليه تعانفها، لتحقيق مقصود السورة العام.

ب - التفسير التحليلي لسورة أو عدة سور من القرآن الكريم بحيث يلاحظ فيه غرضها المخوري ويستصحب من مطلعها إلى حائطها أية آية، مع
وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها

بيان المعاني التي تدور عليها مقاطعها والربط بينها واستكشاف المناسبات الموضوعية بين الآيات في ضوء بناء السورة الموضوعي. مع تجنب طمس معالم السورة بحشر التفصيلات القصصية والتاريخية والبلاغية التي تبعد القارئ عن حسب السورة الخاص، والاقتصار في تحليل المعاني على ما يخدم مقصودها العام.

هذا وإذا كان مفهوم وحدة النسق في السورة القرآنية متفسراً عندما أكثر الباحثين وحاضائر في كثير من الدراسات القرآنية، فإن الاستفصال بالنسب القرآني العام الذي يشمل مجموع سور القرآن الكريم ما زال عامًا يحتاج إلى مزيد من الدرس والبحث، وترجو من الله تعالى التوفيق الخطأ عماره في مستقبل الأيام.

٢٠٨
لاائحة المصادر والمراجع

1- ابن برهان والتفسير الصوفي، عماد الدين يحيى، طباعة دار الفكر الحديث 1993.

2- أبو الحسن الخوارزمي، أثره ومنهجه في التفسير، عماد الدين يحيى، رسالة دبلوم.

3- الإقناع في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1977.

4- أراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم، دار طباعة طباعة ط 1993.

5- أساس في التفسير، محمد حيوي، دار السلام والنشر، ط 1999.

6- إجابة القراءة والبلاغة النبوية، محمد عبد الفتاح، دار الكتاب العربي، دبوا.

7- تدابير التفسير لابن القيم، محمد عبد الجليل، دار ابن الجوزي، طبريا، 1992.

8- البرهان في ترتيب سورة القرآن لأبي حمزة بن الزبير، محمد شعباني، مكتبة دار الأوقاف، بيروت، طبريا، 1993.

9- البرهان في علوم القرآن لابن القيم، تكينج محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، طبريا، 1984.

10- تفسير التحمير والتوضير، محمد طاهر، دار الكتاب العربي، الدار المصرية للنشر، طبريا، 1994.

11- تفسير الحديث، محمد عبد الجليل، دار الكتاب العربي، الدار المصرية للنشر، طبريا، 1993.

12- تفسير القرآن: الجمع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، دار الكتاب العلمي، طبريا، 1977.

13- تفسير الكمال النفيسي بشرح الفلاطين، دار الكتاب العلمي، طبريا، 1993.

14- تفسير المارس، رضوان مصطفى، دار الكتاب العربي، دبوا، 1977.

15- نسق الدور في تفسير السونت، دار الكتاب العلمي، طبريا، 1996.

16- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروقي، مصر، ط 1414 – 1436.

17- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي، دار الفكر، دبوا.

18- سنن النوري، محمد بن عبد الشهري، دار الكتاب العلمي، طبريا، 1993.

٢٠٩
وحدة النسق في السورة القرآنية: فواندها وطرق دراستها

19 - صحيح مسلم، الإمام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1992 م.

20 - طبقات المفسرين، لشمس الدين الداوودي، تحقيق محمد علي عمر نشرمكتبة وشبه ط. 1986 م.

21 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني،نشر دار الريان للتراث.

22 - فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، المشكوي، دار ابن كثير بدمشق.

23 - فضائل القرآن ومعانيه وأدابه، أبو عبد الرؤف بن سالم، تحقيق أحمد الخياطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط. 1415 - 1435 هـ.

24 - في ظلال القرآن، سيده قطب، دار الشروق، ط. 980 - 1480 هـ.


26 - قواعد التنوير الأمل للكتاب الله تعالى وجلل عبد الرحمن حسن حسنين، حديثة الميدان، دار القلم، دمشق، ط. 1980 م.

27 - طبقات الأشاعر، لتحقيقات، د. إبراهيم ساموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

28 - مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط. 1989 م.

29 - مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبد الله، د. دراز، دار القلم، الكويت، ط. 1974 م.

30 - مجموعة الفتاوى لابن أبي طفيل، ط. دار عالم الكتب.

31 - مصالح النظر للإشراف على مقاصد السور، للدبيسي، تحقيق عبد السميع محمد أحمد حسن، مكتبة المعارف، الرياض، ط. 1987 م.

32 - مصنف ابن أبي شيبة، أبو يكز بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط. 1990 م.

33 - مصنف عبد الزواج بن همام الصنعان، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة الإسلامية، ط. 1983 م.

34 - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط. 1992 م.

35 - ملاك التأويل القاطع بين الإله والإنسان والعاطف في توجيه المنشآت. الفعل من آية التسريح، لأبي حضرة، تحقيق: سعد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1983 م.
مجلة معهد الإمام الشافعى للدراسات القرآنية
العدد الثالث (جمادى الآخرة 1428 هـ)

36 - مناهج العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الورقى، دار الكتب العلمية، 1398 هـ.

37 - الموافقات في أصول الشريعة، للشافعى، دار الكتب العلمية، 1398 هـ.

38 - المشايخ النظفان في القرآن ومساكن توجيه عبد ابن الزبير الغزالي، رشيد الحسناوى، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 1403 هـ.

39 - المسند، الإمام أحمد، دار إحياء النتائج العربي، بيروت، د.ت.

40 - النسخ والنسخ في القرآن الكريم، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: د. عبد الكبير العلوي المدغري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1488 هـ.

41 - الأدب العظيم: نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، 1470 هـ.

42 - غويا تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشرون، 1399 هـ.

43 - نظم الدور في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، توزيع مكتبة ابن تيمية، 1393 هـ.

44 - الوحدة الموضوعية لسورة القرآن، د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار السلام، القاهرة، 1486 هـ.
فهرس الموضوعات

الملخص ............................................................................................................. 137
مقدمة ............................................................................................................. 138
المبحث الأول: دلائل وحدة النسق القرآني .......................................................... 140
المبحث الثاني: عناية العلماء بعلم المناسبات .................................................. 153
المبحث الثالث: عناية العلماء المتقدمين بمقاصد السور .................. 160
المبحث الرابع: جهود المعاصرين في الكشف عن مقاصد السور .... 166
المبحث الخامس: فوائد وحدة النسق في تفسير السورة القرآنية ... 182
المبحث السادس: مسائل الكشف عن وحدة نسق السورة القرآنية ... 194
الخاتمة ........................................................................................................ 205
لائحة المصادر والمرجع.............................................................................. 209

٢١٢